

د. إبراهيم شلبي

دفعة 103: حربية



المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع

إهداء ٢٠١٦
هيئه الرقابه الاداريه
جمهورية مصر العربية

103 دفعة حربية

تأليف

د. إبراهيم شلبي





دفعة 103 حربية

د. إبراهيم شلبي

الطبعة الأولى: ينايــــر
1437هـــ 2016م



دار سما للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية
15 ش يوسف الجندي متفرع من شارع البستان - باب اللوق - القاهره
تليفون: 24517300 202+ - 01271919100 2+
emil: samanasher@yahoo.com
publishing@sama-publishing.com

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية
دار الكتب المصرية
شلبي، إبراهيم
دفعة 103 حربية/
إبراهيم شلبي - القاهرة: سما للنشر والتوزيع، 2016
184 ص؛ 19,5×13,7سم - (دفعة 103 حربية)
تدمك 978-977-781-037-1
1 - قصص البطولات.
2 -قصص الحرب.
3 - القوات المسلحة.
أ. العنوان 813/0873
رقم الإيداع: 2015/20586
تدمك 978-977-781-037-1

التوزيع
المجموعة الدولية
للنشـــر والتـوزيـــع
80 ش طومان باي - الزيتون - القاهرة - جمهورية مصر العربية
تلفاكس: 24518068 202+ - 01099998240 2+
emil:aldawleah_group1@yahoo.com

التنفيذ الفني



ali@daraj-eg.com

103
دفعة
حربية

إهـــــداء

إلى آســر.. ســيف.. رقيــة.. نــوران.. إيــاد.. وبــلال

وكل أطفال شهداء دفعــة 103 حــربيــة

ستبقــون دائمًا في قلب أم الدنيا

وفــي قلــوب أبنائــها.



﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾.

صدق الله العظيم

(آل عمران: 169 – 171)

مقدمة

شـــيء ما جمع بين الكلية الحربية مصنع الرجال.. وبين مستشفى سرطان الأطفال 57357.

ليــس فقــط الدعــم المســتمر الــذي يقدمه أبنــاء مصنــع الرجال للمستشــفى، ســواء في صورة تبرعات شــهرية أو صدقة جارية على أرواح الشــهداء أو تبــرع الجيــش بتجديــد قســم الأشــعة بالكامل أو الصنــدوق الذي خصصــه الطلاب لجمــع التبرعات مــن مصروفهم.. أو حتــى المبنى الكامل بالمستشــفى الذي يحمل اســم الكلية تتويجًا وتكريمًا لدعمها المستمر.

ليــس فقط الدعــم المعنــوي مــن خــلال الزيــارات المتبادلة من طــلاب وقــادة الكلية للمستشــفى.. أو من الأطفال المرضى وأســرهم للكلية الحربية.. وما يشــهدونه من اســتقبال حافل بكل مشاعر الحب والرحمة والعطف.. أو حرص المستشــفى على الارتباط المستمر بين أطفالها وأبطال جيشــنا العظيم في الاحتفالات الســنوية التي ينظمها

المستشفى في ذكرى حرب أكتوبر، وزيارات الأطفال لمواقع البطولات المصرية في السويس وسيناء ليتعرفوا على هذه البطولات ويتواصلوا مـع أبطالهــا.. ويتعلموا منهم الشــجاعة والإرادة والإيمان في مواجهة المرض.

هناك شــيء آخر عميـق وقوي يربــط مصنع الرجال بمستشــفى 57357.. هذا الشيء هو سر النجاح الذي تحظى به كلتا المؤسستين.

فرغم أن مؤسسة 57357 هي مؤسسة مدنية خيرية.. فإنها أخذت مــن الجيش القــدوة.. واختارت مــن البداية أن تلتــزم بمعايير العمل العســكري من انضباط والتزام وتفانٍ.. والعمل بروح الفريق الواحد.. مع إرساء قيم العدالة والاحترام والتواصل.

أخذت القدوة من الجيش المصري الذي يضم كافة الفئات والأطياف المصرية.. المســلم والمســيحي.. الغني والفقير.. ابــن الصعيد وابن وجــه بحري.. ابن ســيناء وابن النوبة.. فالمصريون جميعًا يشــكلون نواة القوة بعيدًا عن العنصرية أو الطائفية أو القبلية.

أخذت القدوة من الجيش في تقديم العلاج بعدالة ومساواة.. اقتداءً بقيم المســاواة والعدالة التي تسود في الجيش المصري والذي يرتدي أبنــاؤه نفــس الأفــارول وإن اختلفت الرتــب.. ويأكلــون جميعًا نفس الطعام وفي نفس المكان..

هـذا الحـرص من جانـب الكليـة الحربيـة وأبطالها علـى الدعم والتعـاون مع مؤسسـة 57357.. لم يأت من فراغ إنمـا جاء لإيمانهم بنجاح هذا الصرح ورسالته السامية لمساندة الأطفال الأبطال الصغار على قهر المرض، وحرصه على النجاح والتطوير والنمو المستمر.

الكتاب الذي بيـن أيديكم يحمل مجموعة واقعية رائعة من قصص البطولـة والفداء والشـجاعة.. لأبطـال الدفعـة 103.. التي فقدت 15 شهيدًا من أبنائها..

قصص واقعية صاغها ببراعة وإبداع وبإحسـاس شـديد الوطنية والانتماء..الكاتـب الوطنـي الموهـوب الدكتور إبراهيم شـلبي.. وهو طبيب وأديب.. تخصص في الأدب الإنساني الوطني الذي يمس القلب والعقل والوعي.. وكل كتاباته تحمل رسالة إيجابية هادفة..

اسـتطاع المؤلف في صياغته الرائعة لقصص الشهداء.. أن يمزج ببراعـة بيـن الجانب الإنسـاني والوطني.. لتختلط في القلب مشـاعر الفخر بمشاعر الأسى..

الأسـى على أحباء تركهم كل شهيد وراءه..طفل رضيع.. جنين في بطن أمه..أب و أم يتكفل برعايتهما.. زوجة مخلصة.. خطيبة محبة..

والفخر برجال يطلقون على أنفسـهم مشروع شهيد منذ التحاقهم بالكلية الحربية.

«**اوعى تموت من غير سلاحك**».. هو أول دروس القائد في الكلية الحربية.. درس يرسّخ في نفوس الطلاب عقيدة الشجاعة والرغبة في الاستشهاد والدفاع عن الوطن حتى آخر نقطة دم.. وهو ما يجعل المقاتل المصري والجيش المصري يتميز عن أقوى جيوش العالم التي تخشى القتال البري والمواجهات على الأرض.

يقدم الكتاب صورًا رائعة لبطولة الشهداء وأسرهم أيضًا.. «أحمد» الذي أصيب في سيناء.. وبعد شفائه رفض تنفيذ قرار نقله للإدارة المركزية لحرس الحدود بالقاهرة وأصر على العودة إلى سيناء ليستكمل مهمته في تطهير أرضها من الإرهاب.. حتى لقي الشهادة.. وأعطى أطفال مصر كلها درسًا في الوطنية.. عبر عنه مازن أحد أطفال أسرته قائلًا: «**كان نفسي أكون مهندس.. لكن علشانك والله يا عمو أحمد هادخل الكلية الحربية وآخد بتأرك**».

الدكتورة «هاجر».. زوجة «محمد» المؤمنة الصابرة التي لقنتنا جميعًا درسًا في الرضا بما كتب الله والصبر على قضائه..

والدة «محمد».. التي كانت تتمنى أن تكون أم الشهيد.. وعندما أتاها خبر استشهاده لم تزد في قولها على: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

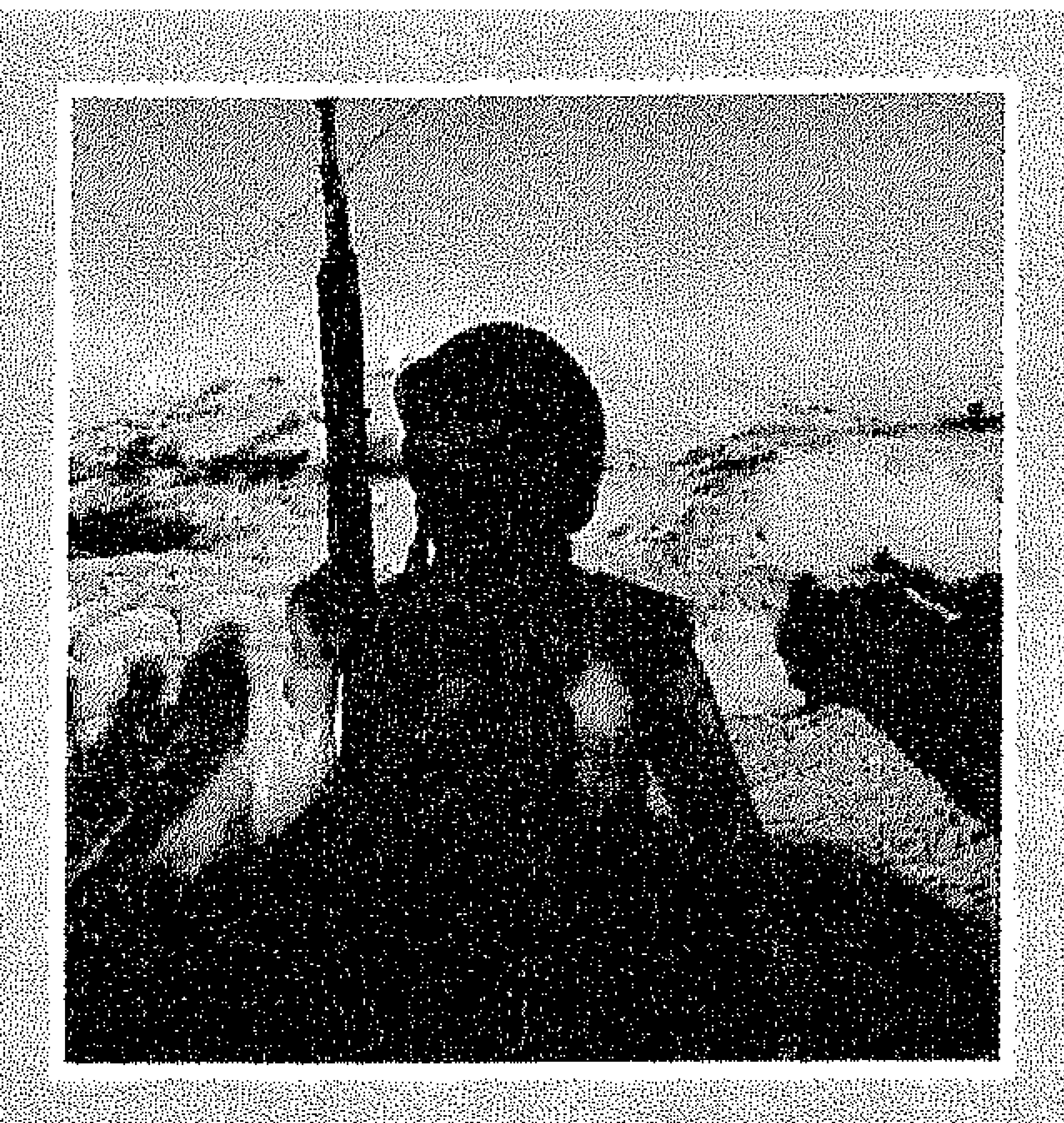
ما أجمل شعبك يا مصر!! ما أعظم وطنيته التي تجعل الاستشهاد شرفًا!! وما أقوى إيمانه الذي يجعل من الشهيد عريسًا يزف إلى نعيم

الآخــرة !! وكما يقول الكاتب: بلد جيشــه وشــعبه بهـذا الإيمان وهذه الروح.. لن يموت أبدًا.

قبل أن ندعوكم لقراءة هذه القصة.. ندعوكم للدعاء بالرحمة..هدية لأرواح شــهداء دفعة 103 حربية.. ولجميع شــهداء الجيش والشرطة ضحايا الإرهاب..

وســتبقى ذكراهم حية في قلوب أطفــال 57357 الذين تفانوا فى إســعادهم.. وفي قلوب جميــع أبناء مصر الذين لــم يبخلوا بأرواحهم دفاعًا عن الوطن.

مــن أســرة
57357





1 محمد جمال الأكشر

كتبت جيمي جيمي بالإنجليزية.. ظهرت صفحة أخي الحبيب محمد جمال الأكشر على الفيسبوك.. أطلت عليّ ابتسامته العذبة في صورة جمعته مع الكنج.. المطرب محمد منير..كان جيمي عاشقًا للكنج وأغانيه وكان يقول لنا: «اسمع منير تعيش أمير».. تذكرت آخر لقاء لي مع محمد في جلسة جمعتنا مع مجموعة من أصدقاء الدفعة في آخر إجازة له قبل استشهاده في 24 مارس 2015.. كنا نشرب الشاي ونستمع إلى أغاني منير ونحن نتحدث عن أحوال البلد وما يمر به في حربه ضد الإرهاب.. ونتذكر زملاء دفعتنا الذين استشهدوا على يد الإرهاب الغاشمة.. توقفنا جميعًا عن الحديث لنستمع إلى منير في حدوتة مصرية وهو يقول:

«قلبي جوه يغني وأجراس تدق لصرخة ميلاد

تموت حتة مني الأجراس بتعلن نهاية بشر من العباد

دي الحكمة قتلتني وحيتني وخلتني أغوص في قلب السر

قلب الكون قبل الطوفان ما ييجي خلتني أخاف عليك يا مصر»

كأن محمد منير كان يغني بلسان حالنا.. تموت حتة مني.. كم هو قاسٍ هذا الشعور.. وقتها كان قد مات منا عشر قطع.. عشرة شهداء فقدناهم من دفعتنا.. دفعة 103 حربية.. خلال الشهور القليلة الماضية. أتذكر محمد وهو يودعنا ليعود إلى وحدته بالعريش.. كان آخر ما قاله: «إن شاء الله ربنا هيحمي البلد من الإرهاب.. ونموت زي أصحابنا الشهداء اللي سبقونا».. لم أتخيل وقتها أن رغبته بالاستشهاد ستتحقق بهذه السرعة.. ليكون هو الشهيد الحادي عشر من دفعة 103 حربية. تذكرت صورته التي كان يضعها على واجهة هاتفه المحمول ويظهر فيها وقد ارتدى خوذة عسكرية وحمل على كتفه سلاحه.. وفوق الصورة عبارة: «اللهم ارزقنا شهادة في سبيلك»..

مسحت دمعة سالت من عيني وواصلت جولتي على صفحة جيمي..

سالت دموع أخرى وأنا أقرأ ما وضعه على جدار صفحته في أكتوبر الماضي.. وكأنما كان يشعر بقرب لقاء ربه:

«حين أتوفى لا تتركوني ولا تبكوا عليّ.. تعلمون أني لا أحب الوحدة ولا الظلام، تحدثوا معي بالدعاء واجعلوا قبري نورًا فربما رحيلي قريب.. وصية ليست مجرد رسالة».

ردّدت مـا وضعه صديق طفولته صـادق عفيفي على صفحته بتاريخ 24 إبريل:

«فات شهر على استشهادك

ربـنـا يرحمـك يـا محمـد

والله لم نفارق الدعاء لـك».

«شـهيـدًا أنـت حـيٌّ .. ما مضـى دهرٌ وكانـا

ذِكْرُكَ الفـوّاحُ يبقـى .. ما حيينـا فـي دِمانـا

أنـت بـدرٌ سـاطـعٌ مـا .. غابَ يومًا عن سمانا»

«رحـم الله أرواحًـا كان وجودها في الدنيا جميـلًا.. ربنا يرحمك يا محمـد».

كتب محمد أيضًا على صفحته عن منزلة الشـهيد عند الله: «للشهيد ست كرامات عظيمة هي: لا يجد ألم الموت إلا كقرصة بعوضة، ويغفر لـه عنـد أول قطرة من دمه، ولا يفتن في قبره، ويكسـى بتاج الوقار، ولا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة، وأخيرًا يشـفع في سبعين من أهل بيته».

واصلـت تصفحـي لصور جيمـي.. قبلته الأولى على خـد ابنه بلال بجـوار شـهادة ميلاد بلال بتاريخ 18 ينايـر 2014.. ثم صورته معه في عيد ميلاده الأول في 18 يناير 2015.. قبل استشـهاده بشهرين وبضعة أيـام.. صورتـه وهو يحتفل لآخر مـرة بعيد ميلاده علـى الأرض يوم 7 يونيـو 2014.. يـوم 7 يونيو 2015 كل أهلـه وأصدقائه تذكروه ودعوا

له: «كل سنة وأنت في أعلى عليين يا شهيد».. سالت دموعي وأنا أقرأ ما قالته له والدته العزيزة طنت ماجدة في ذكرى يوم مولده السادسة والعشرين.. «كل عام كنت أقول لك كل عام وأنت إلى الله أقرب ولسنة الحبيب المصطفى متّبع.. ودلوقتي بأقول لك كل عام وأنت تسرح في الجنة حيث تشاء وتأوي إلى قنديلك المعلق في عرش الرحمن بإذن الله شهيدًا في سبيل الله».

دخلت من صفحة جيمي على صفحات أشقائه منى ومها ومصطفى والتوءم عبد الله وعمر الذين انفطرت قلوبهم لرحيله.. رأيت صورته تزينها ابتسامته وقد كتبت منى تحتها: «رحم الله ميتًا ماتت الحياة من بعده».. ومع صورة له وهو يحمل بلال على شاطئ البحر تقول مها بفخر: «أنا أخت البطل. أنا أخت الشهيد. الله يرحمك يا حبيبي ويصبرني على فراقك».. وبجوار صورة أخرى له بزيه العسكري تقول مها: «مش عارفة أقول غير ربنا يرحمكم وينزلكم منازل الشهداء.... وحشتني قوي يا محمد يا رب أقدر أرجع حقك وحق أصحابك كلهم وأموت شهيدة في سبيله.. والله لو كان الجهاد للنساء كنت رحت وخدت حقك يا حبيبي».. ابتسمت وأنا أقرأ تعليق عمر على خبر تطوير نفق الشهيد محمد جمال الأكشر بمدينة طوخ: «أيوه بقى.. نفق أخويا يا رجالة.. الحمد الله على كل شيء.. تحيا مصر ويحيا أبطال مصر».. ضحكت لرؤية صورة لمحمد وقد أخرج لسانه وعلّق عليها أخوه عبدالله (بودي) قائلًا: «فاكر يا محمد لما كنت بتقولنا أنا هدخل الجنة وهطلعلكوا لساني.. أيام.. ربنا يرحمك يا محمد وأقسم بالله

لجيب حقك.. لازم آخده علشـان هما حرمونـا منك ومن ضحكتك.. ربنـا يجعـل مثواك الجنـة».. ثم بكيـت من قلبـي وأنا أسـتمع للدكتور مصطفى وهو يحكي بفخر قصة أخيه الشهيد لابنه بلال..

عدت إلى صفحة صادق صديق محمد لأرى آخر رسالة أرسلها له:

«ادعيلي يا صادق... أنا مقدم على طلب حج ويا رب يتقبل».

ويعلق صـادق قائلًا: «يااااه طلع إن ربنا هيكافأك بأحسـن من اللي إنـت بتطلبه.. الله يرحمك يا أخي».. ويتوجه صادق في شـهر رمضان إلى مكة المكرمة لأداء عمرة وهب ثوابها لأعز أصدقائه.

وعلى صفحة الشـهيد محمد جمال الأكشر التي خصصها أصدقاؤه ومحبـوه لإحياء ذكراه.. والتي تضم قرابة الأربعة آلاف معجب..لفتت نظري صورة لأحد معارف محمد واسمه سعيد حسني في الحرم المكّي وقد انتهى من أداء عمرة وهبها له.. يقول سعيد: «يا رب تقبلها.. بالرغم إنـي ما اتعاملتش معاه غير مـرة أو اتنين.. بس من أكتر الناس المحترمة اللي شفتها في حياتي.. ربنا يتقبلها ويجعلها في ميزان حسناته».

رأيـت القصيدة التي غناها الطفل سـيف الله مجـدي في احتفالات ذكـرى ثـورة 25 ينايـر وأبكـى أداؤه الرئيـس عدلـي منصـور والرئيس السيسـي الـذي كان وزيـرًا للدفـاع وقتها. وضـع أحد أصدقـاء جيمي القصيـدة علـى صفحتـه على لسـان نجلـه بلال تحـت عنـوان هاكمل مشوارك يا بابا.. بابا بطل:

«أحب أعرف الجميع وأديكم نبذة عن حياته

ليا الشرف والدي الشهيد اللي أفتخر بإنجازاته

في عز ليله كان بينزل للدفاع عن كل شبر في الوطن وباستماته

عرض حياته ألف مرة للضياع ما يستاهلش كره أبدًا أو شماته

وأحب أفكركم جميعًا لو نسيتوا

اللي اتحرم دلوقتي منه أهل بيته

وعشان آمنا بالقدر وبالشهادة

قلنا العمل لأجل الوطن أفضل عبادة

أيوه العمل لأجل الوطن أفضل عبادة

اللهم لا اعتراض أكيد دي حاجة مكتوبة له

أنا هابقى زيه مش هخاف.. هاكمل المشوار بداله».

واصلت بحثي عما كُتب عن محمد لأتوقف عند مقال المحامي والناشط السياسي محمود الزهيري ابن مشتهر.. قرية الشهيد، والذي كتبه بعنوان: من حفل عُرس الشهيد محمد جمال الأكشر: مشتهر ضد الإرهاب.

«نعم وبكل تأكيد.. هذا حفل عُرس.. وليس تشييع جنازة تمت في قريتنا الآمنة الطيبة المطمئنة.. التي تجاورنا مقابرها في السكن والحياة.. وكأنها تربط بين العادات القديمة والأعراف العتيقة للفراعنة الذين كانوا يبنون مقابرهم بجوار سكناهم.. إيمانًا منهم بالبعث والخلود.

في الماضي كانت قرانا ومدننا تستقبل الشهداء من أرض المعارك مع الأعداء في الحروب.. وفي الحاضر تغير الموقف لنستقبل شهداءنا الذين قتلتهم أيادٍ آثمة مجرمة تتسمى بأسمائنا وتتشابه ملامحهم مع ملامحنا.. ويعتقدون نفس المعتقد ويدينون بنفس الدين والمذهب. وتزداد المصيبة والكارثة حينما يكون بيننا وبين هؤلاء المجرمين الإرهابيين القتلة السفلة المنحطين عقليًّا وأخلاقيًّا حالة جوار أو نسب ومصاهرة.. فقد صارت القرى والكفور والعزب والنجوع تؤوي هؤلاء القتلة الإرهابيين المغرر بهم، وبالرغم من إرهابهم وجهلهم وجاهليتهم الملعونة.. فإنهم يجرون علينا أحكام الكفر والتفسيق والتلعين والخروج من الدين بمزاعم مؤداها أننا من الكافرين المعاندين المحادين لله ورسوله.. والكارهين للإسلام وللمسلمين والموالين لليهود والمسيحيين، ومن ثم يكون مأوانا بزعمهم هو نار جهنم خالدين فيها مخلدين.. وكأنهم امتلكوا مفاتيح النيران والجِنان.. وكأنهم صاروا وكلاء عن السماء في إجراء وتفعيل أحكام السماء على من يعيش بينهم على أرض الوطن الذين يكفرون به وبمواطنيه.

أتى إلينا الشهيد محمد جمال الأكشر محمولًا على أعناق الرجال الأقوياء الأشداء من زملائه وأصدقائه في القوات المسلحة المصرية مصحوبًا بالورود والموسيقى العسكرية.. وكذلك استقبلته قريته مشتهر.. بالورود والزهور والزغاريد، ليتحول المشهد الجنائزي إلى مشهد عُرس للشهيد.. في حالة من حالات اختلاط الدموع بالابتسامات واختلاط مشاعر الفرح بالشهادة واختلاج أحاسيس الحزن والفقد..

للآلاف التي حضرت عُرسه والتي يصعب الوصول إلى تعدادها، وكان العزاء الوحيد أن الشهيد ذكراه حية لا تفنى ولا تموت. فهو من قدم روحه فداء لأرواح أبناء وطنه قبل زوجته وابنه بلال ووالدته ووالده وأشقائه وعائلته التي يشهد لها بالالتزام والتدين الوسطي الجميل بلا تطرف أو جنوح أو غلو أو مغالاة؛ فكان مشهد العُرس بمثابة شهادة لأسرته وعائلته بالتدين والالتزام والأخلاق السامية الرفيعة.. وكانت كذلك شهادة معلنة على رءوس الأشهاد بالرفض لكافة العصابات الدينية الإرهابية التي تقتل وتحرق وتدمر بدم بارد وأعصاب باردة.. وكأن أبناء وطنهم هم العدو الأكبر.. والخصم الأعظم. وليت الأمر يقف عند حدود العداء والخصومة.. ولكنه ينتقل إلى التكفير والتلعين والتفسيق.. وهذه مصيبتهم ومصيبتنا التي أصابتنا من جراء جهلهم وجاهليتهم التي تهرب بعقولهم إلى مرحلة ما قبل الجاهلية الملعونة.

الشهيد محمد جمال الأكشر مصيره إلى الخلود.. ومصير قتلته إلى الفناء، وذكراه ستظل حية في القلوب والأفئدة.. وسيكون مثالًا يحتذى.. ونبراسًا يهتدى به في الدفاع عن الإنسان والأوطان.

من الرائع أن وصية الشهيد كانت في رفضه إقامة سرادق عزاء.. وكأنه كان يعلم ميعاد صعود روحه للسماء قبل أن يُقبّل أفراد أسرته جميعًا.. ويُقبّل ويحتضن ابنه الطفل الصغير بلال وكأنه يطلب منهم تنفيذ وصيته.. وكأنه يرفض أن يتقبل أهله العزاء قبل تحرير الإنسان والوطن من الإرهاب والإرهابيين والقتلة السفلة الوقحين المنحطين

عقليًّا وأخلاقيًّا.. وكأن وصيته رمز لاستمرار مسيرة تحرر الإنسان والأوطان من الكفار بالإنسان والأوطان..

أيها الشهيد الحي: محمد جمال الأكشر.. أنت بشهادتك أعلنتها صريحة واضحة ومدوية.. فأنت في الأعلين.. وقاتلوك في الأذلين والأسفلين.. وأنت لك المجد والعزة ولهم الفناء والذلة. ولأسرة الشهيد الحي النقيب محمد جمال الأكشر.. هنيئًا لكم ولنا. ولقرية مشتهر.. ولمدينة طوخ.. ولمحافظة القليوبية.. ولمصر الوطن والمواطن.. وللإنسانية جميعها.. فلكم أن تفتخروا وتعتزوا بالشهيد الحي ما دمتم أحياء.. لأن ذكراه لن تنسى وشهادته على الإرهاب لن تغيب.. ويكفيكم أن روحه خالدة لا تموت.

وستظل قريتنا ضد الإرهاب والإرهابيين هي وكل قرى ومدن وكفور وعزب ونجوع مصر.. من أجل مصر الآمنة المطمئنة بمواطنيها النبلاء».

■ ■ ■

عدت بذاكرتي إلى يوم 24 مارس 2015.. يوم استشهد النقيب محمد جمال الأكشر والمجند عيد عبد الله وأصيب سبعة من المجندين بإصابات متفرقة في انفجار لغم أرضي استهدف مدرعتهم في عمل إرهابي نفذه عناصر كفار بيت المقدس بمنطقة الخروبة على طريق العريش - الشيخ زويد.

قذفت قوة الانفجار بمحمد جمال بعيدًا عن المدرعة.. هرع إليه زميله الملازم أول أحمد راضي.. وجده واعيًا متيقظًا..لم ير نقطة دم واحدة.. فإصاباته كانت كلها داخلية.. في ذات اللحظة في العاشرة وسبع دقائق صباحًا رن هاتفه المحمول.. نظر أحمد إلى الشاشة ورأى اسم المتصل: ماما.. كأن قلب الأم قد أخبرها.. واتصلت لتكون معه في لحظاته الأخيرة.. وقال له أحمد: والدتك اللي بتتصل يا محمد.. قال له: «ما تردش علشان ما تخضّهاش.. أنا خلاص باموت يا أحمد».. وردد محمد جمال الشهادتين ثلاث مرات وأسلم روحه هادئًا باسمًا كأنما كان يرى مكانته ومنزلته.. احتضنه أحمد راضي وهو يردد باكيًا: «ما تسيبنيش يا صاحبي».. وكتب الله لهما اللقاء بعد ثلاثة أسابيع.. إذ استشهد الملازم أول أحمد راضي في هجوم إرهابي على طريق (الخروبة كرم القواديس) بمدينة الشيخ زويد بعد استهداف المركبة التي كان يستقلها بتفجير عبوة ناسفة من قبل العناصر المتطرفة مما أسفر عن استشهاده وضابط صف و4 مجندين وإصابة جنديين.

كان لي شرف حضور جنازة محمد ومرافقته إلى مثواه الأخير بقرية مشتهر، مركز طوخ، القليوبية.. كنت يومها كالمسحور.. تتقاذفني مشاعر الحزن.. الأسى.. الغضب.. الصدمة. والرغبة في الانتقام. خرج أهالي مشتهر عن بكرة أبيهم لتشييع الشهيد.. امتلأت طرقات القرية بين مسجد سيدي مسعود والمقابر بالأهل والأصدقاء ومواطني القرية والقرى المجاورة وطوخ. حضر عدد كبير من زملاء دفعتنا.. دفعة 103.. وكان هناك حضور قوي على المستوى الرسمي لضباط

وجنود القوات المسلحة والشرطة وأجهزة المدينة والمحافظة.. انهار عمر باكيًا محتضنًا نعش أخيه الأكبر قبيل صلاة الجنازة.. بينما ارتجف شقيقه عبدالله وهو يصرخ باكيًا في حضن أحد زملائنا وهو يصرخ مطالبًا بالثأر للشهيد.. رأيت والدة محمد وهي تواسي أحد ضباط الشرطة وهو يهتف منفعلًا وسط دموعه ويطالب بتكاتف الشعب للقضاء على هؤلاء القتلة.

اشتركت في حمل نعش محمد الذي احتضنه علم مصر في فخر وحنان.. فاضت ذكريات أيام الدراسة وقصص الصداقة فشعرت أنني أحمل قطعة من قلبي في هذا النعش سأواريها التراب مع الجثمان الطاهر. ومع التكبيرات والأدعية التي ارتفعت بها أصوات المشيعين تذكرت الصورة التي وضعها محمد قبل أسابيع على صفحته بالفيسبوك.. لوحة مكتوب عليها «اشتقت إليك يا رسول الله».. ها أنت ذا في طريقك للقائه يا محمد.. كنت قريبًا من الله ورسوله.. مؤمنًا مصليًا وفيًّا لكتاب الله.. مراعيًا لحقوق العباد.. بارًّا بوالديك.. حنونًا على زوجتك وابنك.. عطوفًا على إخوتك.. واصلًا لرحمك.. ومخلصًا لأصدقائك. كنت من فرط طيبتك ونقاء روحك ابن موت كما يقولون.

انتفضت غاضبًا وأنا أتذكر البيان الذي افتخر فيه قتلتك بقتلك، وتباهوا بنجاح عمليتهم ضد أعضاء جيش الردة.. جيش الردة؟ نعتوك بالمرتد وكبّروا لقتلك؟ هل هؤلاء مصريون؟ وقبل ذلك هل هؤلاء مسلمون أو مؤمنون بالله؟ كيف يكونون وهم يقولون في بيان لهم

تعليقًا على ما أسموه نصرهم المبين: «وتتوالى فطائس السيسي في سيناء فطيسة تلو فطيسة حتى ازدحمت مستشفيات القوات العلمانية المسلحة بالفطائس والجرحى من حمير وجنادب العلمانية. إقامة الدولة العلمانية في مصر لن تكون بدون دماء وأشلاء جند فرعون الذين سيفشلون بإذن الله وستقام دولة الخلافة رغم أنوفهم هم ورئيسهم».. وددت عندما قرأت هذه العبارات المسمومة أن أقطع إجازتي وأعود فورًا إلى سيناء لأريهم من هم الحمير والجنادب.

لعنهم الله أينما كانوا.. واهنأ بسماع أصوات محبيك وهم يهتفون: لا إله إلا الله.. الشهيد حبيب الله.. إلى جنة الخلد يا حبيب الله. لن نترك حقك وثأرك.. لن نترك حق مصر.

واصلنا طريقنا إلى المقابر ونعش الحبيب طائر على أطراف أصابعي.. طوال الطريق كنت أتساءل.. بأي حق وعلى أي أساس يقوم هؤلاء الإرهابيون بتكفيرنا ويطلقون علينا لقب جيش الردة؟

ألا يقرءون القرآن الذي يخبرنا: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ (النساء 94) كيف ينفون صفة الإسلام عنّا وقد أخبر رسولنا الكريم ﷺ أنه «**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم..له ما لنا وعليه ما علينا**»؟!

كذلك قال: «**أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما**».

«**لا يرمي رجل رجلًا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك**».

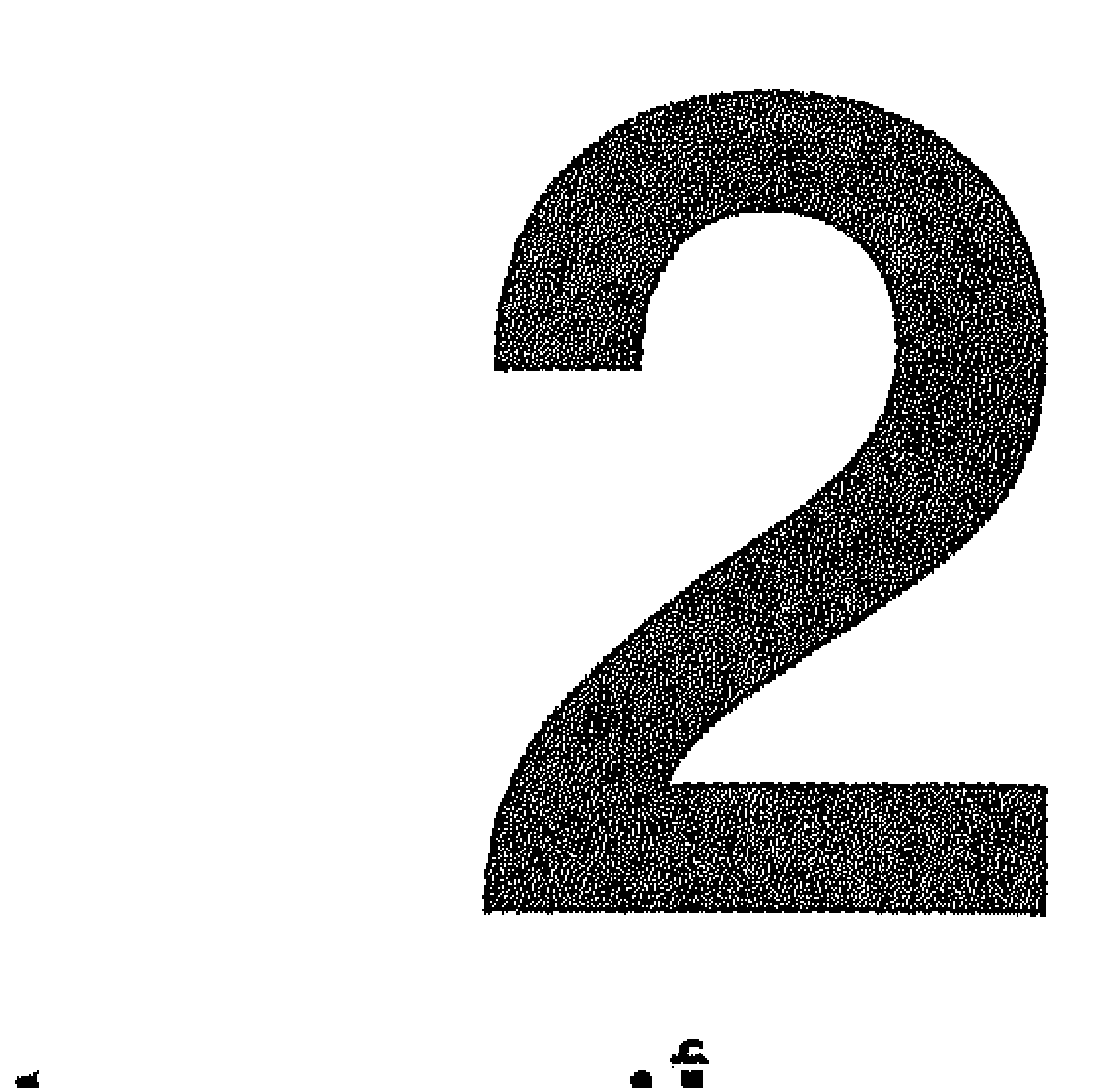
«من دعا رجلا بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلا حارت عليه»..

تنهدت قائلًا: لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.. ومسحت عينيّ اللتين ملأتهما الدموع لذكرى هذا اليوم الحزين وأعدت قراءة ما كتبته وشعرت بالرضا عنه.. هذه هي الصفحات الأولى من كتابي عن زملاء دفعتي.. دفعة الشهداء.. دفعة 103 حربية.. الكتاب الذي قررت كتابته لأخلد ذكرى خمسة عشر من زملائي وأحبابي من هذه الدفعة الذين لقوا حتفهم على يد الإرهاب الغاشم.. على يد أبناء وطننا وشركاء ديننا الذين يفرحون لموتنا ويكبّرون عند قتلنا.. هؤلاء الذين باعوا دينهم ومصريتهم وقبضوا ثمنًا قليلًا. أريد ممن يقرأ هذا الكتاب أن يعرف هؤلاء الشهداء ويعرف قصتهم ويحكي لأبنائه عنهم.. إنهم ليسوا مجرد أرقام أو أسماء في خبر أو صور في جريدة أو نعوش ملفوفة بعلم مصر.. إنهم مصريون عاشقون لمصر وبذلوا أرواحهم فداءً لها.. ولكن قبل ذلك هم مواطنون مصريون عاديون.. مثلي ومثلك.. لهم أسر وأهل وأصدقاء وطموحات وأحلام.. يمكن أن يكون الشهيد القادم أنا أو أنت.. أخي أو أخاك.. ابني أو ابنك.. ولكن حماة الوطن هرعوا وتنافسوا ليتلقوا الشهادة قبلنا.. فهنيئًا لهم.

اقرءوا الصفحات القادمة بتمعن.. ادعوا لأبطالنا بالرحمة وادعوا لأحبابهم بالصبر..وادعوا لزملائهم بالنصر والثبات..وادعوا لمصر بالخير والسلام وأن يحفظها الله من الفتن.

أما أنا.. فادعوا لي بنيل الشهادة حتى ألحق بهم.

■ ■ ■



أنـــــا

أنا النقيب حسـام شـرف الدين.. مشـروع شـهيد بالقوات المسلحة المصريـة.. تخرجت في الكلية الحربية في عام 2009 مع الدفعة 103 حربية.. دفعة أسد البحار الفريق فؤاد محمد ذكري.. أعظم قادة البحرية العسكرية منذ عهد إبراهيم باشا.. قائد القوات البحرية في حرب أكتوبر 1973 والمخطط لعملية تدمير المدمرة الإسرائيلية إيلات عام 1967.

هل تأثر مصير أفراد دفعتنا برمزها الذي تحمل اسمه.. فصاروا أسودًا لا يرهبون عدوًّا ولا يخشـون الموت؟ هل ساقهم القدر ليستشهد زهرة شبابهم في سيناء التي شهدت مولد الفريق ذكري في مدينة العريش عام 1923 والذي كان له دور كبير في نصر أكتوبر 1973 ليقبّل أرضها بعد غياب دام ست سنوات؟

قضيـت أجمل سـنوات عمري فـي الكلية الحربيـة.. صادقت أنقى وأشـجع الرجال..وعندمـا نادانـا الوطـن لبينـا نـداءه.. وانتشـر رجال

دفعتنا البواسل.. نحمي حدودنا من خطر الإرهاب..كما حمينا قلب مصرنا من الفوضى والدمار خلال ثورة يناير 2011 حين انحزنا لنبض الشعب وبعدها ثورة يونيو 2013 حين استجبنا لتفويض الشعب. ومع سقوط حكم الإخوان واختيارهم لطريق العنف والإرهاب للانتقام من الشعب المصري الذي لفظهم ورفض أن يتخلى عن تاريخه وهويته.. كنا في خط الدفاع الأول.. كان أكثرنا في شمال سيناء.. بينما توجه البعض لحماية حدودنا الغربية والجنوبية. وكان سقوط أحمد أبو العطا كأول شهيد للإرهاب من دفعتنا كإشارة البدء لأن نضع رءوسنا فوق أكفنا ونتنافس على الالتحاق بالوحدات المقاتلة في قلب المعارك.. استشعرنا حلاوة الشهادة وتنافسنا لنيلها..وتوالى سقوط الشهداء من أبناء دفعة 103 حربية حتى أطلق عليها دفعة الشهداء.. ومع الفخر الذي ملأ صدورنا.. عشش الأسى في قلوبنا حزنًا على فقد الأصدقاء والأحباء.. كانت قلوبنا تدمي وتتجلد.. ولا يزيدنا فقدان زملائنا إلا إصرارًا وشجاعة.. وباتت الشهادة هي المنى والرجاء. ولكننا بشر.. والحزن لا مفر منه.. تلقيت الصدمة تلو الصدمة وبدأ الأسى يسيطر على أحاسيسي.. أربعة عشر حبيبًا وصديقًا لقوا حتفهم تباعًا.. حتى جاء يوم الثامن عشر من يوليو 2015.. الموافق لثاني أيام عيد الفطر المبارك.. لم أحصل على إجازة في العيد لظروف العمل فكنت في وحدتي بسيناء.. ونزل عليّ كالصاعقة خبر استشهاد أول الدفعة وفاكهتها وصديقي الحميم مصطفى حجاجي الذي استشهد إثر سقوط قذيفة في عملية إرهابية استهدفت كمينًا أمنيًا بالشيخ زويد أسفر عنها

استشـهاد ثلاثـة وإصابـة أربعـة.. ليصبـح مصطفـى حجاجي الشـهيد الخامس عشـر من دفعة 103 ..احتبس الصـراخ في حنجرتي والدموع في عينيّ وشعرت أن الأرض تدور بي.. ثم فقدت الوعي.

■■■

أفقت لأجد نفسي في غرفة بالمستشفى وقد أحاط بي طبيبان وقائد المنطقـة واثنـان من زملائـي.. أخذت أنظـر إلى عيون الأطبـاء الحانية وعيون زملائي القلقة وأسـتجمع أفكاري.. تذكرت ما حدث.. تجنبت نظراتهـم وأخذت أحـدق إلى زجاجة المحلـول المعلقة في حامل إلى جوار السـرير وقد اتصلت بإبرة ثبتـت في ذراعي.. ركزت نظراتي على القطرات الصغيرة وهي تنساب في رتابة من الزجاجة إلى جهاز الوريد.. ذكرتنـي بالدموع.. الدموع التي تجمدت في مقلتيّ بعد سـماعي للخبر الأليم.. وبدأت دموعي تسـيل بهدوء على جانبي وجهي ليعقبها نشـيج مكتـوم تطـور في ثوانٍ إلـى نوبة عنيفة مـن البكاء هزت جسـدي كله.. ركع قائد المنطقة إلى جانب السـرير وضم رأسـي إلى صدره بينما بكى الباقـون في صمت.. وأصدر أحـد الطبيبين أوامره إلـى الممرضة التي جاءت بحقنة مهدئة حقنتها في ذراعي.. شـعرت بالنعاس وسـرعان ما رحت في نوم عميق.

أفقت في الصباح التالي على أصوات في الغرفة.. كان قائد المنطقة ومعـه الطبيـب المناوب الذي قـال لي إنني أصبت بصدمـة عصبية وإن حالتي الصحية مسـتقرة، ولكنه أوصى بالراحة لمدة أسبوعين وأخبرني القائـد بـأن أعد نفسـي للعـودة إلـى القاهرة فـي الصباح التالـي لقضاء

أسبوعين إجازة.. حاولت الاعتراض ولكنهما لم ينصتا إليّ وقال لي قائد الوحدة: «هذا أمر.. كان الله في عونك وعون دفعة 103.. اذهب للاستجمام لتعود إلينا جاهزًا لأخذ ثأر مصطفى وباقي زملائك».. وافقت على مضض..وفي الصباح التالي استقليت السيارة المتجهة إلى القاهرة.

■ ■ ■

أخذت أتأمل البحر الممتد على يميني بلا نهاية..وأشجار النخيل تظلل الشاطئ المهجور وقد امتدت شامخة في عنان السماء تحمل بشائر البلح.. لا يزال أمامه حوالي شهرين حتى يتم نضجه.. على يساري لمعت رمال سيناء الذهبية تحت الشمس.. تذكرت جدي الذي لم أره.. كان ضابطًا في القوات المسلحة استشهد على هذه الأرض الطاهرة في حرب 1967.. لم يكن والدي قد أتم سنته الأولى وقت استشهاده فنشأ يتيمًا..ولكنه كان فخورًا بكونه ابن الشهيد.. لم يلتحق والدي بالجيش إذ فضّل أن يدرس الهندسة.. فلما التحقت أنا بالجيش وارتديت زي الكلية الحربية لأول مرة أطلقت جدتي زغرودة طويلة واحتضنتني قائلة: «أنت الذي ستأخذ بثأر جدك».. قال لها أبي: «ثأر بابا أخذه زملاؤه في حرب 1973..والحمد لله عادت سيناء لنا».. نظرت جدتي له بغضب وقالت: «سيناء فقط.. لا يزال أمامنا مشوار طويل.. لسه فلسطين.. لسه الجولان.. لسه القدس.. واللا نسيت القدس؟».

ابتسمت ابتسامة مريرة وأنا أتذكر وطنية وإيمان جدتي رحمها الله.. ترى ماذا كانت ستقول لو عرفت أن الذين يقاتلونني اليوم

ليسوا إسرائيليين؟.. بل هم مصريون وفلسطينيون، وهم مستعدون أن يقتلوني باسم الله وباسم الإسلام.. وسيكبّرون عند قتلي كما نكبّر عند ذبح الأضاحي..سيكبّرون ويهللون فرحًا بمقتل أحد أفراد جيش الردة.. كما يطلقون علينا!

تمتمت متألمًا بأبيات الشاعر أحمد فؤاد نجم:

«ياللي انت واقف ع الحدود احنا في زمن غير الزمن..

بتدي وشك لليهود والضربة جاتلك من قلب الوطن».

حمدت الله أنه قد اختار جدتي إلى جواره قبل أن ترى هذه الأيام السوداء.

■■■

واصلت تأملي لأرض الفيروز المهيبة بينما السيارة تنهب الطريق غربًا.. تذكرت ما كتبه الدكتور جمال حمدان صاحب كتاب شخصية مصر عن سيناء حين قال: «من يسيطر على فلسطين يهدد خط دفاع سيناء الأول.. ومن يسيطر على خط دفاع سيناء الأوسط يتحكم في سيناء.. ومن يسيطر على سيناء يتحكم في خط دفاع مصر الأخير.. ومن يسيطر على خط دفاع مصر الأخير يهدد الوادي». تنهدت متذكرًا أصدقائي الشهداء وقلت بصوت خافت: «كلنا فداؤك يا أرض الفيروز».

أخذت أفكر فيما سأفعله خلال الإجازة.. يجب أن أسافر إلى إسنا لتقديم العزاء لأهل مصطفى وزيارة قبره.. غير ذلك ليس لي خطة محددة.. وأنا لست ممن يستمتعون بالكسل والراحة.. تذكرت الخواطر

التي سجلتها في مفكرتي عقب استشهاد بعض أصدقاء دفعتي.. لم لا أجعلها نواة لكتاب يخلد ذكراهم؟.. أنا كاتب جيد.. كتبت العديد من المقالات لمجلة الكلية وفزت في إحدى المسابقات الأدبية. أصدقاء الدفعة كانوا يسمونني الفيلسوف لولعي الشديد بالقراءة والكتابة.. توقفت تقريبًا عن الكتابة خلال أربع السنوات الماضية إلا لبعض الخواطر أخطها في مفكرتي من يوم لآخر. تحمست للفكرة وقررت أن أكرس كل وقتي لها. هذا أقل ما يمكنني عمله كبادرة وفاء لرجال بذلوا أرواحهم فداءً لمصر.. رجال من دفعة 103 حربية.

أسندت رأسي إلى ظهر مقعد السيارة وأغمضت عينيّ.. توالت صور زملائي الشهداء أمامي.. كلهم ضاحكون مستبشرون.. أخذت أصفّر بشفتيّ لحنًا مقربًا إلى قلبي.. وبصوت مليء بالشجن بدأت أغني:

أبكي.. أنزف.. أموت وتعيشي يا ضحكة مصر
وتعيش يا نيل يا طيب وتعيش يا نسيم العصر
وتعيش يا قمر المغرب وتعيش يا شجر التوت
أبكي.. أنزف.. أموت وتعيشي يا ضحكة مصر

وتلاميذ المدارس والنورج اللي دارس
والعسكري اللي دايس ع الصعب عشان النصر

يا مراكب يا صواري يا شوارع يا حواري

يــا مزارع يــا صوامع يــا مصانع يــا مطابــع

يا مينا يا كباري يا منادر يــا بنادر يــا منــازل يا بيـــوت

أبكي.. أنزف.. أمـــوت وتعيشي يا ضحكة مصــر

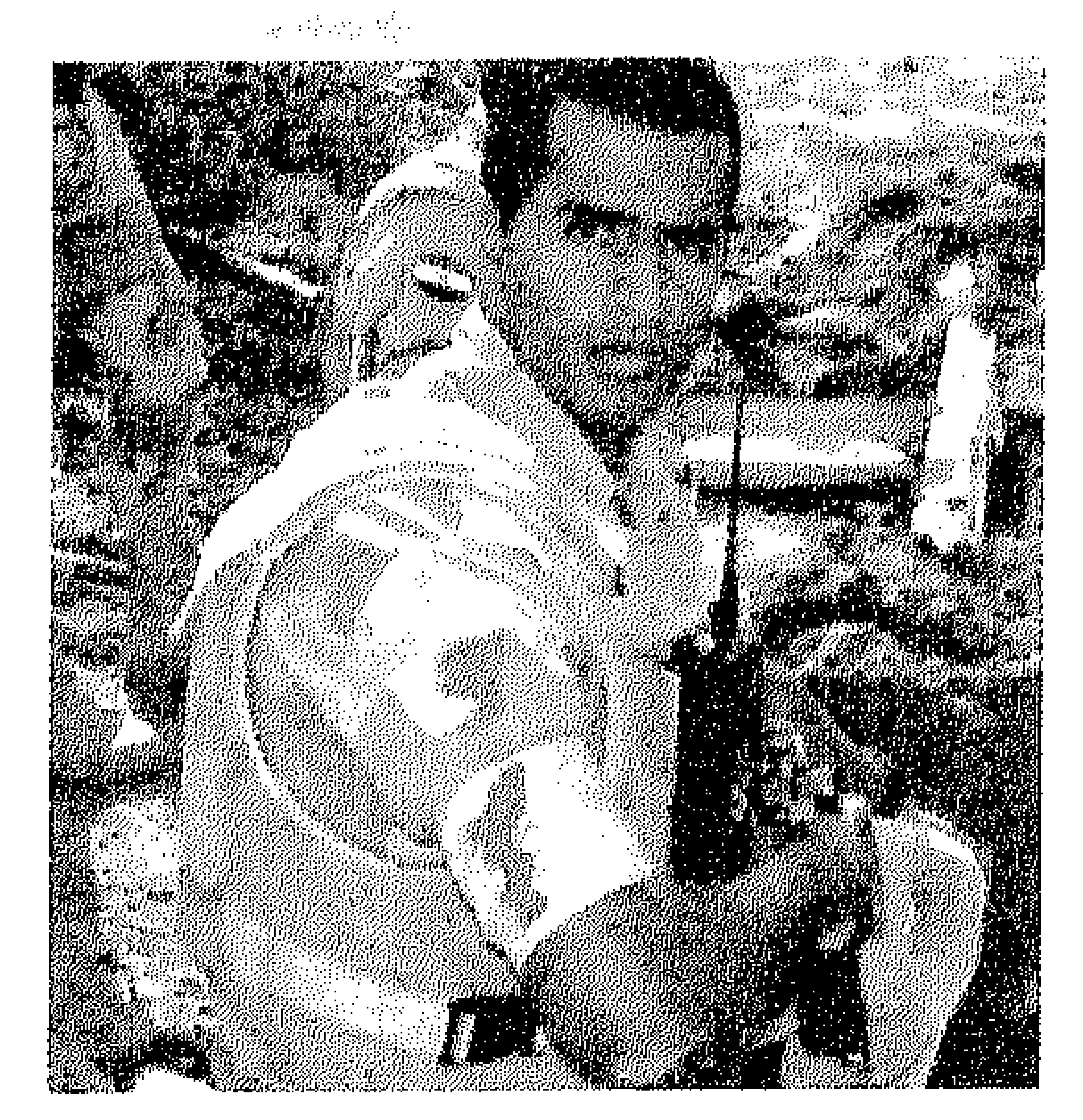
وتعيشي يا ضحكة مصر وتعيشي يا ضحكة مصــر

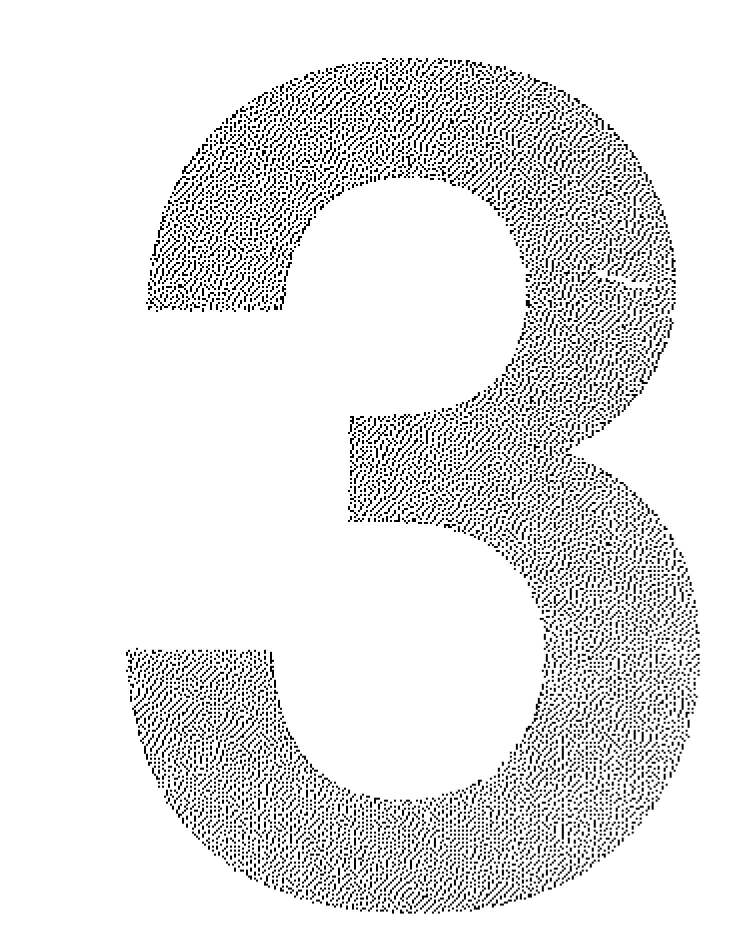
فتحـت عينـيّ لأجد عينـي المجنّد سـائق السـيارة تطـلان عليّ من المرآة الأمامية وقد سالت منهما الدموع.. مددت يدي وربتّ على كتفه مشجعًا.. قلت له:

«ستعيش ضحكة مصر..وسيهنأ بها أولادي وأولادك بعون الله».

مسح دموعه بكمه ورد بحرارة: **«يا رب يا افندم.. يا رب».**

■ ■ ■





أحمد فؤاد حسن

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. إزيك يا أمي.. عاملة إيه؟ لو قدّر ليكي تشوفي رسالتي.. ده معناه إني استشهدت وإن أصحابي لقوها في جيب الأفرول بتاعي.

زي ما أبويا قرر يدخلني الجيش وتخرجت منه ملازم قد الدنيا.. كان لازم أحمي أم الدنيا. وعلشان كده بصراحة أنا اللي كان عندى إصرار إني أروح أخدم في سيناء.

قولي يا حاجة لأحمد أخويا إن فيه حرب بجد فيها سلاح ثقيل وفيها أسلحة متطورة وفيه أعداء.. منهم ناس بتضحك في وشنا الصبح.. ولما الليل ييجي ويبدأ ضرب النار ونرد عليهم.. بنروح نشوف اللي مات ونلاقي جثة لواحد كان الصبح بيفطر معانا.

من كام يوم جاء القائد العام الفريق صدقي صبحي، ورئيس الأركان الفريق محمود حجازي.. وتناولنا الغداء معًا.. وسأل الفريق صبحي عن أحد الجنود تم تكريمه منذ شهور بسبب تضحيته في الدفاع عن زملائه.. فأخبروه بأنه استشهد. فلم يكمل طعامه وأمر بمقابلة أهله فور رجوعه للقاهرة.

لما تشوفي جثتي يا أمي إوعي تبكي أو تضعفي.. عايزك تقولي لكل الدنيا وأنتِ لابسة أبيض في أبيض إنك أم الشهيد وأم البطل.. وعايز أقول لشعب مصر ماتخافوش.. إحنا واقفين ناخد الرصاصة في صدرنا بدالكم».

قرأت الرسالة مرتين.. اقشعر بدني وأنا أتخيل أم أحمد وهي تقرأ رسالة فلذة كبدها التي كتبها لها قبل استشهاده..وتسلمتها مخضبة بدمائه..

هذه رسالة صديقي وحبيبي أحمد فؤاد حسن.. الذي طلب الشهادة وسعى إليها فأنالها له الله.. استشهد أحمد أثناء خدمته في قوات حرس الحدود عندما رصدت دوريته في فجر يوم 11 مارس 2015 ثلاث سيارات أثناء القيام بعملية تهريب عند العلامة الدولية رقم 3 برفح وتصدت لها.. واستشهد أحمد عليه رحمة الله في تبادل إطلاق النار. أحمد خدم في شمال سيناء منذ سنتين وأصيب عندما أطلقت مجموعة إرهابية دانة آر بي جي على المركبة التي كان يستقلها عند مطاردته لهم. الرئيس السيسي كان وقتها وزيرًا للدفاع، وكرمه من أجل شجاعته.. ابتسمت وأنا أتذكر الموقف عندما صافح السيسي بقبضته القوية فقال

له السيسي مبتسمًا: «كسرت لي إيدي يا أحمد».. وبعد شفائه من إصابته أصر على العودة إلى سيناء ليستكمل مهمته في تطهير أرض سيناء من الإرهابيين.. رغم أنه كان قد صدر له قرار نقل للإدارة المركزية لحرس الحدود بالقاهرة ولكنه رفض تنفيذ النقل مطالبًا بالبقاء في سيناء.

قمت بعرض مقطع من فيديو بثته إدارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة.. ظهر فيه أحمد قبل استشهاده بأسابيع قليلة.. وقد وقف بقوامه الممشوق يتحدث بصوت قوي تملؤه الثقة والعزيمة.. قال أحمد:

«أي حد حيفكر يمس شعب مصر.. إحنا اللي حنتصدى له. وأي حد يفكر إنه يمس الأمن الداخلي المصري.. سواء كان من خارج أو من داخل مصر.. إرهابي.. أو أيًا كانت جنسيته.. مش حيقدر يهوب ناحية مصر طول ما إحنا موجودين.. اللي عايز يقرب ناحية مصر.. يعدي على جثثنا إحنا الأول»..

أخذت أتصفح صور أحمد.. صورته وهو يرقص وسط أصدقائه في حفل زفافه.. صورتين ضاحكتين، واحدة بالملابس المدنية، وواحدة في سيناء بالملابس العسكرية مع أحمد عبد السلام سلامة صديقنا ودفعتنا الذي لحق به إلى دار الخلد شهيدًا مكرمًا.. إذ استشهد يوم ذكرى الأربعين لأحمد فؤاد، صورًا عديدة له مع زوجته ومع ابنه إياد.. ورث إياد عنه عينيه المعبرتين ونظراته الواثقة التي بدت جلية رغم صغر سنه.. كان أهل سيناء يلقبونه بأبي إياد.. كانت عيناه تلمعان فخرًا وفرحًا عندما ينادونه بهذا اللقب. كان أحمد رغم حنانه الشديد

على إياد صارمًا وشديدًا في تربيته.. كان يريده قويًّا.. كان يتمنى أن يراه مثله وأن يتسلم منه الأمانة ويلتحق بالجيش. توقفت أمام صورة لأحمد بالملابس المدنية وقد وضع فخورًا علم مصر على كتفيه وغطى به صدره.. تذكرت جنازته وقد احتضن العلم نعشه.. أكبر جنازة في تاريخ كفر شكر.. في حضن العلم حيًّا وميتًا يا ابن مصر البار.

تابعت زوجة أحمد الوفية العظيمة وهي تحكي باختصار قصتهما.. قالت له عند خطبتهما: أنا كان نفسي أتزوج ضابط.. ولكن لما شفتك إنت.. اتمنيت يكون إنت بالذات.. وعندما حذرها من خطورة الارتباط بضابط.. فهو لا يعلم إذا كان سيعيش معها سنة أو اثنتين أو ثلاثًا.. كان ردها عليه: «لو حنعيش شهر.. حاعيشه معاك إنت».. وتضيف الزوجة الحبيبة: «سبحان الله.. أنا عشت معه ثلاث سنوات زواج وسنة خطوبة.. عرفته أربع سنوات من حياتي أعطاني فيها من الحنان والحب والأمان ما يكفيني لأربعين سنة، حكت أيضًا كيف كان أحمد يعدها لمواجهة الحياة وحدها ويدفعها للاعتماد على نفسها وأن تكون أكثر قوة وتحملًا.. كان يقول لها: «أريدك قوية.. فالقادم أصعب».. وفي أجمل تعبير عن الحب والوفاء تقول عنه: «هو هناني في الدنيا.. وسوف يهنيني فعلًا في الآخرة».

لفت نظري تعليق على صفحة الشهيد كتبه صديقه المحامي محمد علاء: «كنت دائمًا أفتخر بأن صديقي الضابط أحمد فؤاد.. ولكني اليوم أشد فخرًا بين الناس.. بأن صديقي هو الشهيد أحمد فؤاد.. في الجنة إن شاء الله يا شهيد».

أمـا مـازن.. أحد أطفال العائلـة فقد كتب: «أنا كنت نفسـي لما أكبر أكـون مهنـدس.. لكـن علشـانك والله يـا عمو أحمـد هادخـل الكلية الحربية علشان آخد بثأرك وحقك يا عمو».

■■■

أخي الحبيب أحمد فؤاد.. صائد الأنفاق وأسـد حرس الحدود كما كان جنوده يطلقون عليه.. تعلمت أنا شـخصيًا منه الكثير رغم أننا دفعة واحدة وكلانا في الخامسـة والعشرين من العمر... كان رحمه الله مثلًا حيًّا للشجاعة والإصرار والالتزام والتواضع وتحمل المسئولية.

قرأت مقـالًا للصحفي عبد الرازق توفيق بعنـوان القوى الكامنة في الجيـش المصـري.. فكان وجه أحمد فؤاد يظهر لي بين سـطور المقال في كل فقرة.. مثلًا حـيًّا للمقاتل المصـــري الذي رسـم على قلبه وجه الوطن..

يقول الكاتب:

«بعيـدًا عـن معايير العـدة والعتاد والأعـداد في مجـال المقاتلين أو الأسـلحة والمعـدات فـي مختلـف التخصصـات.. فـإن البـاحـث عن حقيقة قوة الجيش المصري يكتشـف أن هنـاك أبعادًا أخرى لهذه القوة الرادعة التي يعرفها ويدركها الجميع سواء على المستويين الإقليمي أو الدولي، فلم تأت مقولة الرئيس عبدالفتاح السيسي أن الجيش المصري كتلـة صلبة من فراغ.. ولكن لها أسـاس علـى أرض الواقع لأن الجيش المصري أكثر جيوش العالم التزامًا وانضباطًا وتماسـكًا وتلاحمًا، وهو

جيش غير قابل للتمرد أو العصيان أو الانقلاب من الداخل، وذلك لأن جوهر عقيدته القتالية يعتمد على إعلاء المصلحة العليا للوطن وإرساء قيم العدالة والمساواة والاحترام والتواصل.

ويمكن أن تلحظ بسهولة دون عناء أو جهد قيم المساواة والعدالة في الجيش المصري الذي يرتدي أفراده نفس الملابس وإن اختلفت الرتب فالأفرول من القائد العام وحتى أحدث جندي هو طبق الأصل.. ناهيك عن قيم التلاحم التي تشبه الأسرة المصرية بوجود مكان واحد لتناول الطعام من نفس النوع للجميع.. كما أن الروح المصرية التي تتسم بالتواضع تجعل القائد يشارك الجنود حياتهم ومشاكلهم مما يزيد من قوة التماسك والصلابة.

ثانيًا.. إيمان الجيش المصري بأنه جيش ملك الشعب ومن الشعب يشكل فخرًا واعتزازًا يعتز به أبناء العسكرية المصرية.. يفاخرون بوطنية جيشهم والدفاع عن شعبه وحدوده وأمنه ومقدراته تحت شعار النصر أو الشهادة.

ثالثًا.. عقيدة الجيش المصري لا تعرف التراجع أو التقهقر للخلف بشهادة محمد عليه الصلاة والسلام بأنهم خير أجناد الأرض.. كذلك يتسم أداء المقاتل المصري بالشجاعة والبسالة والجرأة والرغبة في الاستشهاد، وهذا ما يميز الجيش المصري عن أقوى جيوش العالم التي تخشى المواجهات على الأرض والقتال البري؛ لذلك فالجنود هم سادة الأرض والمعارك البرية ولهم قدرات عالية في الحسم،

وحرب أكتوبر والخليج دليل قوي على ذلك والتاريخ وشهادات أبرز القادة العسكريين في العالم تؤكد هذا المعنى.

رابعًا.. تميز المقاتل المصري بقدرات فائقة في التخطيط والأفكار الخلاقة وإحداث المبادأة والمفاجأة والابتعاد عن النمطية.. بالإضافة إلى القدرات الخارقة في توظيف الأسلحة واستخداماتها.

خامسًا.. قدرة المقاتل المصري على القتال في مختلف مسارح العمليات ومختلف الأجواء.. لا يبالي بأجواء حارة أو باردة.. بصحراء أو غابات أو بحار، قادر على العمل تحت مختلف الظروف والأجواء بكفاءة واقتدار. عنيد إلى درجة الصلابة.. ويعكس أداؤه قوة الروح المصرية وقدرتها على التحمل والجلد والعمل بنفس الكفاءة والقدرة.

سادسًا.. الجيش المصري يضم كافة الأطياف والفئات المصرية.. يجمع بين المواطن المصري المسلم والمسيحي، وأيضًا جغرافيًّا فهذا جندي من الصعيد وآخر من بحري وثالث سواحلي ورابع من سيناء أو بدوي أو نوبي.. المصريون جميعًا يشكلون قوة هذا الجيش؛ لذلك فهو أكثر الجيوش وطنية واحترافية، لا يعمل بشكل عنصري أو طائفي وبذلك فهو غير قابل للانشقاقات.

سابعًا.. القدر الكبير من الحب والتقدير والاحترام الذي يحظى به الجيش المصري من قبل جموع الشعب يمنحه قوة غير منظورة للآخرين.. ويزيد من حجم الاستعداد للتضحيات والعطاء.. لأن هذا الجيش ببساطة هو المكون الرئيسي لكل أطياف المصريين ولا يخلو بيت مصري تقريبًا من وجود فرد ممثل في القوات المسلحة سواء كان

ضابطًا أو صف ضابط أو جنديًا أو موظفًا أو عاملًا مدنيًا أو صانعًا عسكريًا.

ثامنًا.. كما أن الميراث الوطني للجيش المصري في حماية مصر من المعتدين عبر التاريخ. ومواقف الجيش المصري الوطنية بالانحياز لشعبه تجعله السند والحصن والملجأ لهذا الشعب العظيم الذي يعتبر جيشه هدية ربانية منحها الواحد الأحد لهذا الوطن يظهر معدنه النفيس والنادر أوقات الشدائد والأزمات.

تاسعًا.. لا ينسى المصريون وقوف جيشهم الوطني معهم في أوقات المحن والكوارث.. فعندما ضرب الزلزال مصر في 1992 كان الجيش وسط الشعب، وعندما هاجمت السيول عددًا من المحافظات كان الجيش أيضًا حاضرًا في كل الأوقات. في الفرح والكرب.. الجيش المصري يسعى جاهدًا للتخفيف عن كاهل ومعاناة المصريين وهذا أيضًا يمثل قوة إضافية في التلاحم والوقوف والمؤازرة والمساندة للوطن.

عاشرًا.. الجيش المصري مؤسسة عصرية عريقة تتميز بالوطنية والعطاء والإيثار تحسبًا لأوقات الضعف في تاريخ الأمة المصرية.. فخلال ثورة 25 يناير وما تلاها من أحداث، كانت القوات المسلحة بالمرصاد لكل محاولات الهدم والتدمير والتخريب ووقفت في وجه المتآمرين على هذا البلد.. وساندت هذا الوطن ودافعت عنه بشجاعة وأنقذته من السقوط المريع وتفانت في توفير احتياجات الشعب من أمن وغذاء.. وحفظت له مؤسساته وقدمت أرواح ودماء أبنائها فداءً

لمصر في عبور تاريخي بمصر إلى بر الأمان وكان قدر الجيش المصري هو العبور بمصر إلى النصر والأمان والاستقرار.

هـذا الجيـش المصـري العظيـم لا ينظر إليـه فقط من جانـب العدة والعتـاد.. وهو موجـود، ولكن أيضًا مـن جانب العقيـدة والقدرة على التضحيـة والعطـاء والإبـداع المفعـم بالـروح المصريـة التي تسـتطيع مواجهة المستحيل».

هكـذا كنت يا أحمد فؤاد.. كأن كاتب المقـال كان يصفك.. كانت روحك مصرية أصيلة تسـتطيع مواجهة المسـتحيل. رحمك الله رحمة واسعة وأنزلك في أعلى منازل الشهداء والصديقين.. أصبّر نفسي على أمل أن نلتقي قريبًا.. وأرجو من الله أن يكتب لي شرف الشهادة لألحق بك..

■■■





4
محمد إمام مصطفى

استيقظت من نومي منشرح الصدر.. فقد رأيت صديقي الحبيب الشهيد محمد إمام في المنام.. رأيته وقد ازداد حسنًا على حسن.. والنور يشع من عينيه الجميلتين.. وابتسامته الساحرة تملأ وجهه.. قال لي بصوت يملؤه الفرح:

«اطمئن يا صاحبي.. وأبلغ والدي ووالدتي وزوجتي وجميع أحبائي أنني بخير وبأحسن حال.. سمعت كثيرًا في البرامج الدينية وخطب الجمعة وفي الكلية الحربية عن الشهادة ومكانتها.. ولكن كل ما سمعته شيء والواقع شيء آخر تمامًا.. فهمت معنى قول الله تعالى: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾.. فهذا هو ما أعيشه الآن..نحن نعيش هنا في كنف الله ورعايته.. هل تعلم أين؟ في الفردوس الأعلى.. أعلى درجات الجنة وأقربها لحضرة الله تعالى.. يسطع علينا نور الله من كل

مكان.. ونجد فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت. لم تلفت كلمة يرزقون في نهاية الآية نظري من قبل.. ولكني الآن أفهمها.. فنعيم الجنة عام.. أما الرزق فهو محدد ومخصص يوجهه الله تعالى لكل منا باسمه.. تخيل.. فوق ما في الجنة من نعيم، لكل منا رزق اختصه الله تعالى به.. وهو متكرر ومتغير.. ففي كل يوم ننتظر مفاجأة جديدة تملأ قلوبنا فرحًا فوق ما هي فرحة.. لن تصدق إذا قلت لك من هو جاري.. جاري هو سيدنا يوسف عليه السلام.. آية في الحسن والجمال.. أتى لزيارتي بعد وصولي وحدثني بحب وشوق عن مصر وقال لي ألا أقلق عليها.. لأن مصر خزائن الأرض كلها، فمن أرادها بسوء قصمه الله..

وفي مناسبة أخرى قابلت أبانا آدم وسيدنا نوحًا عليهما السلام وهنأاني بشهادتي فداءً لمصر التي قال عنها سيدنا نوح إنها «**الأرض الطيبة المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد**».. وقال لي لا تحمل همًّا.. فهي في كنف الله ورعايته.. وأكد على ذلك أبونا آدم عليه السلام.. تاليًا عليّ دعاءه الذي اختص به مصر: «**لا خلّتك يا مصر بركة، ولا زال بك حفظ، ولا زال منك ملك وعز**»..

وفي مناسبة أخرى كنت في زيارة لسيدنا عيسى عليه السلام فقبل جبيني وقال لي: مرحبًا بك في الجنة.. وقال لي: يجب أن تفخر بشهادتك فداءً لشعب مصر.. فقد اختاره الله دون شعوب الأرض ليعهد إليه بحمايتي أنا وأمي ويوسف النجار عندما هربنا من فلسطين خوفًا من بطش هيرودس.. وباركه الله ونسبه إلى نفسه عندما قال في كتابه المقدس: «**مبارك شعبي مصر**»..

أما اللقاء الفريد فكان لقائي بسيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.. جاء للسلام عليّ مبتسمًا وقال: «مرحبًا بخير أجناد الأرض»..

وكان بصحبته ولد صغير جميل يمسك بيده.. عرفت أنه ابنه إبراهيم الذي مات طفلًا.. وبعدما عانقني سيدنا محمد قال لإبراهيم: سلم على خالك الشهيد يا إبراهيم.. وأتاني إبراهيم ضاحكًا وقبل وجنتي قائلًا: مرحبًا بك في الجنة يا خالي..اختفى عجبي عندما تذكرت أن أم إبراهيم هي أم المؤمنين المصرية السيدة مارية القبطية..

قضيت وقتًا ممتعًا في الحديث إلى سيدنا محمد.. وعند مغادرته قال لي: لا تقلق على مصر وأهلها.. فهم في رباط إلى يوم الدين.. وما كادهم أحد إلا كفاهم الله مؤونته. ونظر في عيني مؤكدًا «**مِصْرُ كِنَانَةُ الله فِي أَرْضِهِ، مَا طَلَبَهَا عَدُوٌّ إِلَّا أَهْلَكَهُ الله**».

هؤلاء هم جيراني ورفاقي وأصحابي.. الأنبياء والصديقون والشهداء.. وحسن أولئك رفيقًا..

أما عن رحلتي إلى هنا فأحب أن يطمئن قلبك أنني لم أشعر بألم أو بأي شعور سيئ.. عندما حدث الحادث الغادر.. كل ما شعرت به كان كأنما أظلم الكون لثوانٍ وفتحت عيني لأرى الملائكة تحيط بي ضاحكة وتصحبني في رحلة بديعة إلى السماء.. وطوال الطريق كان يلاحقنا الدعاء والصلوات الآتية من الأرض.. والتي استمرت إلى يومنا هذا وتصل إليّ وتسعدني.. دعاء أهلي وأصدقائي.. دعاء من ناس لا أعرفهم.. ختمات قرآن.. صلوات من مساجد وكنائس.. دخان شموع وعبير بخور..عمرات موهوبة.. وأدعية حميمة من رحاب

المســجد الحرام والمســجد النبوي.. حقًّا ما أجمل الشــهادة خاصةً لو كانت في سبيل مصر!!

أرتنــي الملائكــة القصــر المعد لاســتقبال والــدي ووالدتــي تقديرًا لصبرهمــا على فراقي. أمــا عن قصري.. فأبلغ زوجتــي الحبيبة أنني لم أدخل الجناح الرئيسي بالقصر بعد.. وسوف أؤجل افتتاحه حتى ندخله معًا بإذن الله في لقاء ليس بعده فراق..

■ ■ ■

دمعت عيناي وأنا أستعيد تفاصيل هذه الرؤية المبشرة.. دعوت الله مخلصًا بأن يكتب لي الشــهادة لألحق بمحمد وأنعم معه بهذه الصحبة العطــرة وهــذا النعيم الدائم.. تذكــرت الدكتورة هاجــر.. زوجة محمد المؤمنــة الصابرة عندمــا حلت ضيفة علــى برنامــج تليفزيوني حاولت فيــه المذيعة أن تواســيها وتصبرها.. فلقنتها درسًــا فــي الرضا بما كتب اللــه والصبــر على قضائه..عندما ســألتها المذيعة: «هــل أنت راضية؟» كان ردهــا: «نعــم.. الحمــد لله. دعيني أقول لك شــيئًا.. مــا الهدف من معيشــتنا في الدنيا؟.. نحن نعيش في الدنيا لنقوم بالعمل الصالح الذي يــؤدي بنا إلــى دخول الجنة.. هذا هو الهدف.. وبالنســبة لمحمد.. فهو قــد دخــل الجنة من أوســع أبوابها؛ لذلك فأنا لســت حزينــة عليه.. فهو الآن مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.. ما الذي كان يمكن أن يأخــذه من الدنيا أفضل مــن ذلك؟ الحزن ليس على محمد.. الحزن علينا.. محمد هو الوحيد الحي.. أما نحن فكلنا أموات.. الشــهداء هم

الوحيـدون الذين اختصهـم الله بقوله بأنهم أحياء عنـد ربهم يرزقون.. الحزن علينا لأننا سنعيش بدونه ولقسوة الصدمة التي تلقيناها.. ».

نفـس الإيمان والسـكينة كانا عند والـدة محمد.. التـي كانت دائمًا تتمنـى أن ينال الشـهادة وتكون أم الشـهيد.. كان قولها دائمًـا: «هو فيه واحـدة تطول إنها تبقى أم الشـهيد؟».. وعندما أتاها خبر استشـهاده لم تزد في قولها على: «يا حبيبي يا ابني.. إنا لله وإنا إليه راجعون»!!

استشـهد محمد في الهجـوم الإرهابي الذي اسـتهدف نقطة حرس الحـدود بالقرب من واحة الفرافرة بصحـراء مصر الغربية في 19 يوليو 2014 فـي أول معركـة مباشـرة بيـن قوى الإرهـاب الغـادرة وجنودنا البواسـل.. اسـتمرت المعركة لثلاثة أرباع السـاعة استبسل فيها محمد وزمـلاؤه. كان محمـد يبعـث الحمـاس في جنـوده هاتفًـا: «اتجدعنوا يـا رجالـة.. خلونا نلقـى الشـهادة النهـارده».. فلم يسـتطع الإرهابيون دخـول النقطة أو أسـر جندي واحد كما كانت خطتهم بأسـر الجنود ثم إعدامهـم.. ولقـي العديد مـن الإرهابيين مصرعهم فاسـتهدف الباقون مخـزن الذخيرة بقذائف الآر بي جي فانفجر موديًا بحياة محمد مع 21 من زملائه مع إصابة أربعة آخرين.

قُتل محمد ورفاقه باسـم الإسـلام في العشرة الأواخر من رمضان.. أخـذت أفكر وأتعجب.. كيف يقتـل الصائم صائمًا و يفر إلى الصحراء ليكمـل صيامه ويعتبر نفسـه مجاهـدًا تحت راية الإسـلام؟!!! تذكرت مخاوف نبينا عليه الصلاة والسلام.. ورأيتها تتجسد الآن بنفس الصورة التي وصفها لحافظ سره حذيفة بن اليمان:

«إن أخوف ما أخاف عليكم رجل قرأ القرآن، حتى إذا رُئِيت بهجته عليه و كان ردءًا للإسلام، انسلخ منه و نبذه وراء ظهره.. وسعى على جاره بالسيف، ورماه بالشرك. فسأله حذيفة: يا نبي الله.. أيهما أولى بالشرك: الرامي أو المرمي؟ قال: بل الرامي».

ودع محمد أسرته في أول أيام شهر رمضان المبارك.. لم يسمح له وقته بالبقاء ليفطر معهم إذ كان عليه السفر إلى الفرافرة.. في اليوم السابق لرمضان احتفل محمد بسبوع ابنه البكر سيف.. كان الاحتفال بالسبوع بعد خمسة أيام فقط من ولادة سيف الذي قضى أول يومين من أيامه الخمسة في الحضّانة.. وُلد سيف بعملية قيصرية قبل موعده بأسبوعين حتى يتمكن والده من رؤيته قبل سفره.. كانت هذه هي رغبته.. أن يحضر ولادة ابنه ويحتفل بسبوعه.. كأنه كان يشعر بدنو أجله واقتراب شهادته.. عندما اقترحت والدته أن يترك زوجته تلد في موعدها الطبيعي ويرى المولود ويحتفل به في إجازته القادمة كان رده: «أنا رايح مش راجع».

بدت إجازته الأخيرة كما لو كان قد جاء مودعًا.. كان لا يزال يحمل على عاتقه هم وألم الحادث الإرهابي الذي تعرضت له سريته منذ شهرين واستشهد فيه ضابط وخمسة جنود قام محمد بعدها بحمل جثثهم بنفسه من موقع الحادث.. لما شهد والده سوء حالته النفسية شد من أزره وذكّره أن شهادة تخرجه في الكلية الحربية تحمل لقب شهيد تحت الطلب. وداعبه عمه بقوله: «إذا كنت حتبقى شهيد..

بسرعة يلا.. قبل ما المدارس تتشغل.. علشان نلحق لك مدرسة نكتب اسمك عليها».

لم يكن محمد إمام أول شهيد للإرهاب من مسقط رأسه قرية أسنيت مركز كفر شكر بمحافظة القليوبية.. ففي 17 سبتمبر 2013 استشهد الملازم أول محمد كريم ضيف الضابط بالجيش الثاني الميداني في هجوم مسلح على سيارة للقوات المسلحة هاجمها 4 مسلحين وأطلقوا الرصاص عليها في القصاصين بمحافظة الشرقية.. كان كريم من أعز أصدقاء طفولة محمد إمام وتخرج في الكلية الحربية بعده بعام في الدفعة 104 حربية.. ولما استشهد كريم أخبر محمد من حوله بأنه سيلحق به عاجلًا.. وكان هذا ما حدث.. إذ استشهد بعده بعشرة شهور.

كان كريم صديقًا مشتركًا.. تذكرت ما وضعه على صفحته على الفيسبوك في عيد الفطر قبل استشهاده بحوالي شهر: «ناس ليها عيد.. وناس ليها تأمين للناس اللي ها تعيد.. وناس مستنية تعيد فوق عند ربنا»..

شهد محمد إمام جنازتين لشهيدين في أسنيت خرجتا من مسجد العزب خلال أقل من عام.. الجنازة الأولى شارك فيها في حمل نعش الشهيد كريم ضيف.. وفي الثانية كان هو الشهيد المحمول على الأكتاف.. وفي الجنازتين خرجت القرية النائمة في حضن ريف مصر تصرخ ضد الإرهاب وتهتف للشهيدين بالخلود.. حيّين عند ربهما يرزقان.

■■■

أخـذت أتصفح صـور محمد إمـام فـي مناسـبات عديدة..لـم تخل صـورة واحـدة مـن ابتسـامته الجميلـة التي لا تملـك إلا أن تـرد عليها بابتسـامة.. هذا الشـاب الهادئ ذو الخمسـة والعشـرين ربيعًـا.. الذي غادرنا إلى حياة الخلود في العشر الأواخر من رمضان..

رددت على لسان محمد إمام:

قتلوني غدر وأنا بحمي بلــــدي

قرآني في إيدي وفطاري جنبي

لا أعـرف الحكمة وراء اختيار شـهر رمضان لقيـام الإرهابيين بهذه المذابح.. فمثل مذبحة الفرافرة.. شـهد شـهر رمضـان المعظم مذبحة رفـح الأولى في أغسـطس 2012 التي قامت بها في التاسـع عشـر من رمضـان جماعـة أنصـار بيـت المقـدس الإرهابيـة والتي أسـفرت عن استشهاد 16 ضابطًا وجنديًّا مصريًّا، وإصابة 7 آخرين بالقرب من معبر كرم أبو سالم. ومذبحة رفح الثالثة في يونيو 2014 التي قامت بها أيضًا جماعة أنصار بيت المقدس الإرهابية وأسـفرت عن استشـهاد 4 جنود أمـن مركزي مصريين بمنطقة سـيدوت، فـي أولى ليالي شـهر رمضان الكريـم.. ومذبحـة رفـح الرابعـة في يوليـو 2015 التـي قام بهـا أفراد تنظيـم داعش الإرهابي حيـث هاجموا عدة نقاط أمنيـة في وقت واحد في الرابع من شـهر رمضان الكريم مما أسـفر عن استشهاد أربعة ضباط و 13 جنديًـا وإصابـة 13 آخرين.. رحـم الله الشـهداء وصوب رءوس قتلتهم في النار.

توجهت إلى النافذة المفتوحة وأخذت أرقب قرص الشمس وهي تميل للغروب وبالنيابة عن الشهيد غنيت بكل جوارحي:

قتلوني صايم يا أمه ومين قدره بيستنّى

لكن شهيد حاكمل.. فطاري في الجنة..

أمانه يا اما إوعي تبكي.. دموعك بتأذيني

ده وعد ربي.. كتابي.. وهاخده بيميني

ابنك راجل يا اما.. ده انتي اللي بتربي

لكن اتغدر بيا.. والغدر من ظهري

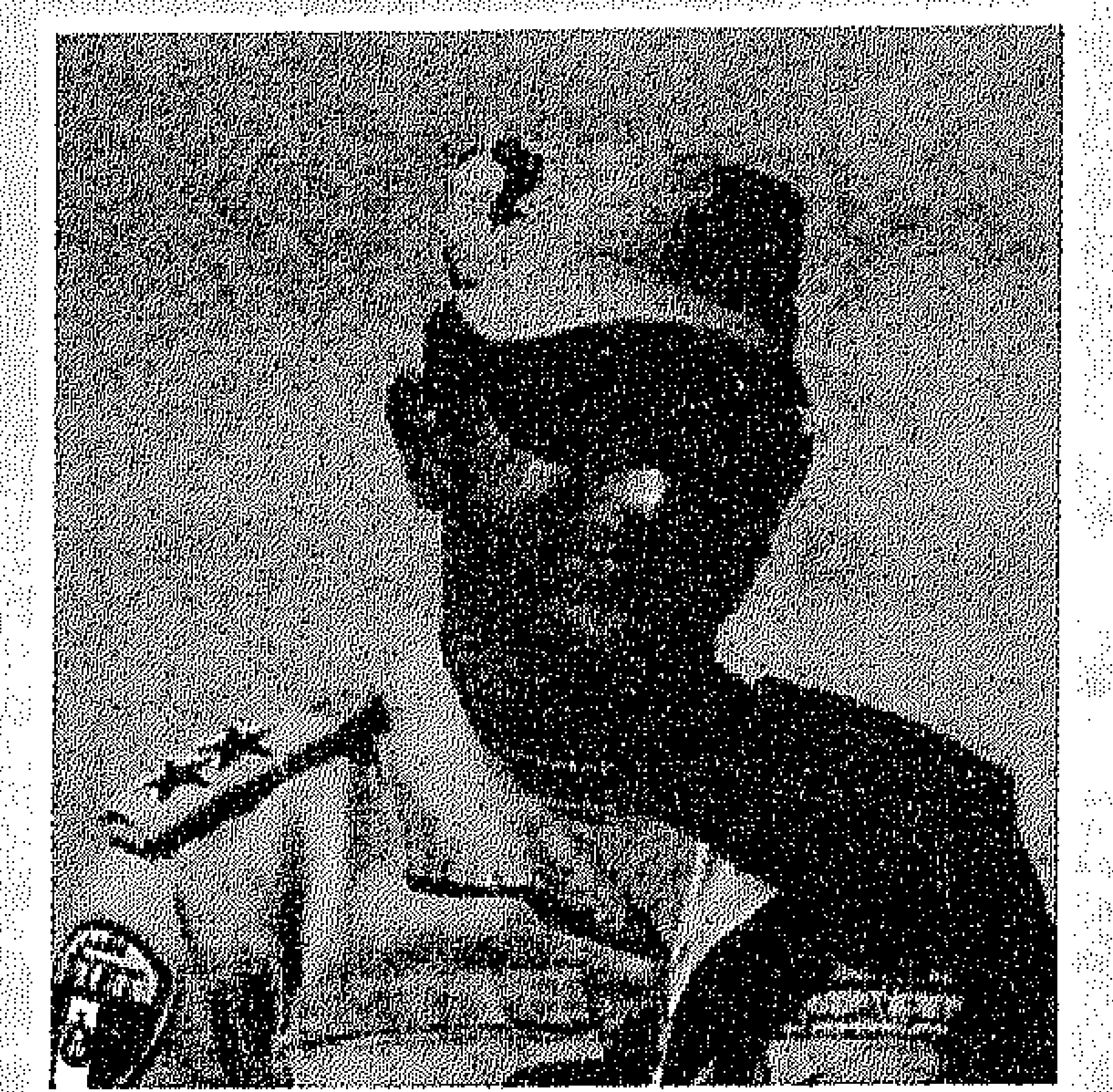
وكل زمايلي بخير.. دول رجاله مصريين

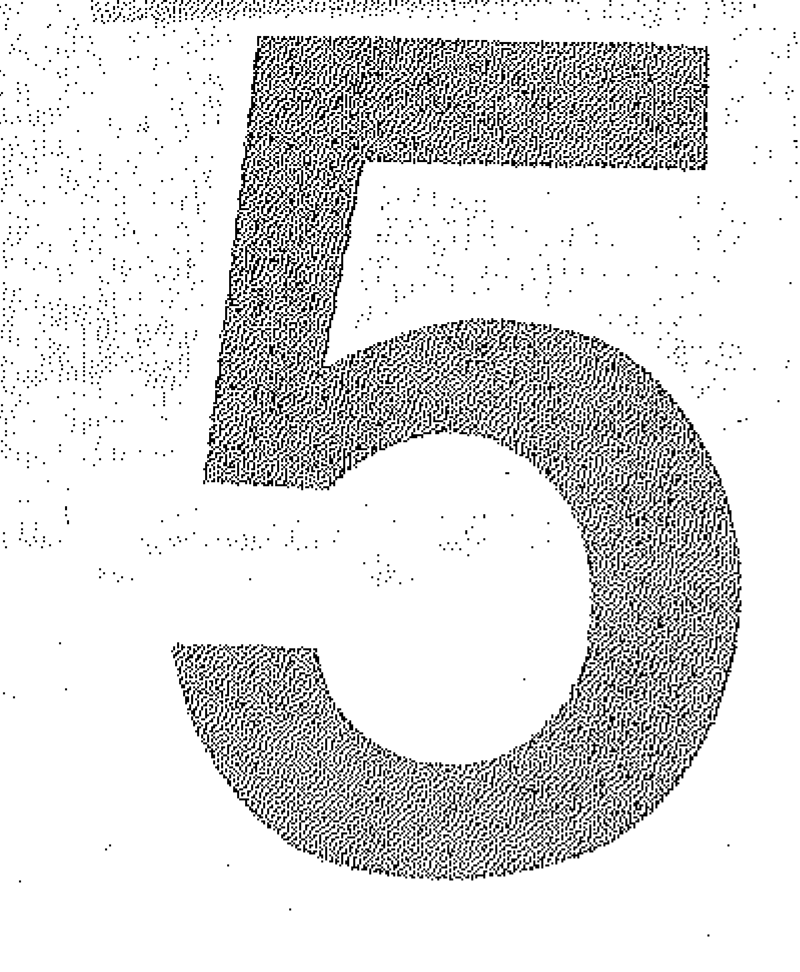
دول حتى فاردين جناحتهم وعالجنة رايحين

قولي لاولادك يا اما.. لازم ياخدوا بتاري

مضطر أسيبك يا اما.. أصلي هاكمل فطاري

■■■





5

محمد زكريا أبو غزالة

تمردت على كل قواعد مجتمعها المجروح..

وقررت أن تحتفل بعيد الحب

مسحت دموعها

وانطلقت لبائع الورد

لم تكن قد أخذت موعدًا من حبيبها

لكنها عرفت مكانه تمامًا...

كالسنة الماضية

ومن بين تلك القبور...

رأت منزله الصغير

كالوردة بين الشوك..

وضعت وردتها الحمراء

ولم تنتظر أحبك كغيرها..

فهديتها له أنها ستبقى تنتظره عذراء

علهما يتقابلان في الجنة...

فتكون معه

صغيرته.. كما كان يدعوها...

عرفت معنى الحب

قرأت هذه الكلمات الرقيقة على جدار صفحتها بالفيسبوك.. سمر فتوح.. خطيبة أخي الحبيب الشهيد محمد أبو غزالة.. سمر التي أرسلت خطابًا بعد استشهاد خطيبها وحبيبها محمد إلى السيد وزير الدفاع قالت فيه:

«القائد العام الفريق صدقي صبحي وزير الدفاع..

اشترينا فستان الفرح وبدلة الزفاف وطبعنا كروت الفرح استعدادًا للزفاف.. ولكن كانت إرادة الله غير ذلك، واستشهد عريسي محمد أبو غزالة وزف إلى السماء.. كانت روحه ثمنًا للحرية، وقالوا إن بلده لن ينساه.. ولكن التكريم الذي أخذته من الدولة هو أنه لم يسأل عني أي أحد إلى وقتنا هذا، وتوجهت إلى محافظ البحيرة بهذا الأمر.. زُف عريسي بالبدلة الميري.. ودماؤه تتساقط منها، وأعلم أنه في منزلة أفضل مما نحن فيه.. استشهد وارتاح.. أما أنا فأموت كل يوم كلما

نظرت إلى فستان الفرح وبدلة الزفاف. أنا حاصلة على ليسانس ألسن جامعة عين شمس لغة إنجليزية وإيطالية وكنت أتساءل..هل يحق لي أن ألبس بدلته.. وأحمل مسدسه.. وآخذ مكانه في كرم القواديس المكان الذى استشهد فيه؟ وإذا كان لا يحق لي ذلك.. فأرجو منحي فرصة عمل بالمستشفى العسكري بكفر الشيخ تكريمًا لروح الشهيد.. وحتى أسهم بجهد يرضي نفسي لاستمرار المسيرة التي بدأها الشهيد محمد أبوغزالة».

نذرت سمر نفسها لمحمد أبو غزالة.. وقررت ألا تتزوج حتى تلقاه لتكون زوجته المخلصة في الجنة.. قررت أن تقضي حياتها كفرد من أسرته وأن تكمل مسيرته في خدمة مصر التي بذل روحه فداها..

تابعت ما قالته سمر في حوارات تليفزيونية أجريت معها بعد استشهاد محمد..

«كان فرحنا قريب.. بس راح اللي أغلى من الكل.. كنت أفتح صفحته الشخصية، ألاقي ناس من أصحابه ماتوا.. وأسأله هو صاحبك ده متجوز أو خاطب..ماكنتش عارفة إني هدوق المرارة دي. مش عاوزة واحدة يحصل لها اللي حصل لي.. وربنا يحرق قلوبهم زي ما حرقوا قلبي».

«محمد كان بيتمنى الشهادة ونالها.. بدل ما آجي لحبيبي بيته بالفستان الأبيض جيت بالأسود.. ملحقتش أفرح ولا أفرّحه سبق الموت وأخذه مني.. أريد أن أكمل مسيرة الشهيد في الدفاع عن بلاده وخدمة وطنه لأنه زرع فيّ حب البلد.. وعلمني أن خدمة البلد والدفاع

عنه واجب وطني.. محمد كان يحب عمله ويخاف على جنوده أكثر من أي شيء آخر.. وأنا لست أقل من أن آخذ حقه وأكمل مسيرته».

أما والدته الفاضلة الصابرة.. فمسحت دموعها ورفعت رأسها وقالت بكل يقين وإيمان: «أحتسب نجلي شهيدًا عند الله فداءً لتراب الوطن».. كذلك احتسبه والده شهيدًا ودعا له قائلًا: «اللهم إني راضٍ عنه فارض عنه يا رب واجعل مثواه الجنة».

لقي محمد أبو غزالة ربه مع بداية شهر الله المحرم.. وكان آخر ما كتبه على صفحته على الفيسبوك قبل ساعات قليلة من استشهاده هو تهنئة رقيقة لأهله وأصدقائه بمناسبة حلول العام الهجري الجديد قال فيها: «عام مضى لا نعلم هل كنا من الفائزين أم غير ذلك. نسأل الله مغفرة لما مضى وهداية لما هو آت.كل عام وأنتم إلى الله أقرب.. كل عام وأنتم على الدين أحرص وكل عام وقلوبكم أنقى وأطهر كل عام وأنتم في سعة رزق وبركة».

قد تتساءلون من هذا الرجل الذي تقرر فتاة جميلة في مقتبل العمر أن تبقى بتولًا تعيش مخلصةً لذكراه إلى يوم تلقاه؟ كيف كان هذا الرجل الذي قال عنه الجنود الذين عملوا تحت قيادته: «لقد كان شهيدًا يعيش بيننا ولبَّى النداء»؟

كان محمد أبو غزالة قريبًا إلى قلوب جميع أصدقائه وزملائه.. كان خلوقًا متدينًا صوفي الإيمان.. وكان يعامل الجميع باحترام وتواضع بالغ جعل الكل يحبه ويأنس بوجوده. كان يناجي ربه وينصح نفسه وأصحابه قائلًا: «لا تركن إلى غير الله لدرء الهموم عنك فلا ملجأ من

الله إلا إليه، من اشتكى لغير الله ملَّ، ومن لجأ لغير الله ضلَّ، ومن سأل غير الله ذلَّ، ومن استجار بالله فلا ضلَّ ولا ملَّ ولا ذلَّ، من وجد الله ماذا فقد؟ ومن فقد الله ماذا وجد؟».

توقفت عند تعليق وضعه جندي اسمه حسن طيارة على صفحة الشهيد، قال فيه: «يا جماعة الراجل ده كان قائد الفصيلة بتاعتي في قوات حفظ السلام في السودان.. وأقسم بالله مش علشان هو اتوفى هاقول في حقة كلمتين والسلام بس.. والله العظيم الراجل ده من أشرف الناس اللي عرفتهم في حياتي.. والله العظيم عمره ما فوّت فرض وصيام اثنين وخميس. عمره ما مشي من الميس يوم نوبتجيته غير لما يطمئن إن كل العساكر أكلت.. وكان يقف مع الضعيف. ربنا أعلم بي وأنا باكتب الكلام ده.. فأنا باقول للي ماكنش يعرف سيادة الملازم أول محمد زكريا أبوغزالة: ده كان أحسن أخ وأحسن صاحب وأحسن قائد. فيا ريت إللى ما يعرفوش يدعي له بالرحمة. ربنا يرحمك يا افندم ويصبر أهلك وخطيبتك وكل إنسان افتقدك».

مسحت دمعة سالت من عيني وأنا أقرأ كلام الجندي البسيط الصادر من القلب.. والذي أوفى به محمد أبو غزالة حقه..

هذا المؤمن النقي التقي الذي شهد الجميع لخلقه ودينه لم يكتف كلاب الإرهاب بقتله وزملائه غدرًا في الأشهر الحرم.. بل تفاخروا وتباهوا بقتلهم في بيان لهم على موقعهم الإلكتروني وضعوا فيه صورة الشهيد الكريم وقد كتبوا عليها بحروف بلون الدم (فطيسة السيسي) وقالوا - لعنهم الله: «العملية الأولى كانت هجومًا شاملا على كمين كرم

القواديس دمر المعسكر وأوقع من فيه بين فطيسة مقتولة وبين فطيسة مصابة حيث نفق 31 من العسكر العلماني الساعي للدولة العلمانية من بينهم 7 جثث أشلاء وأصيب 25 من العسكر بإصابات خطيرة».

ملأني الغضب وأنا أقرأ ما وضعوه على صفحتهم المشئومة.. وما زادني هذا الهراء إلا إصرارًا وتصميمًا على الثأر لمحمد ولكل شهدائنا..وعلى اجتثاث هذا الإرهاب وهذا الفكر الشيطاني الملتحف برداء الدين من كل شبر من أرض مصر الطاهرة.

استعدت في ذاكرتي قصيدة كتبها محمد أبو غزالة في رسالة وجهها إلى جماعة أنصار بيت المقدس الإرهابية عقب إعلانها مسئوليتها عن تفجير أوتوبيس نقل جنود على طريق رفح - العريش مما أسفر عن استشهاد 11 جنديًّا وإصابة 35 آخرين في 20 نوفمبر 2013، قال فيها:

أنصار بيت المقدس يا اسم على غير مسماه..

أتذبحون وتقتلون رجالًا أن يقولوا ربنا الله..

أتقتلون المسلمين المصلين الصائمين وتتركون الجناة..

من اغتصبوا القدس والأقصى والبيوت واستباحوا الحياة..

أتقتلون من يقرأ القرآن ويتضرع للرب ابتغاء رضاه..

وتتركون الأرض والعرض والمساجد لتستباح يا أسفاه..

ألكم عقول؟ أم أنكم كالدواب صم بكم وعُماة؟..

يا من أسأتم إلى الإسلام فهو منكم براء ورسول الله..

افعلوا ما شئتم فالأمر مرصود والجند موجود يا حفاة..

والعمر مقدور والقبر محفور والسلاح مسجور يا طغاة».

وعلى صفحة الشهيد محمد أبو غزالة..وجدت تعليقًا من شخص اتخذ اسم «الجندي المجهول»..وجه فيه رسالة لهؤلاء المنافقين المتخفين خلف راية الدين قال فيها:

«لكلّ من يرفع سلاحًا في وجه الآخرين باسم الله

كيف تقول إنك تعرف الله..

وأنت لا تتعرّف إلى الإنسان الجالس بقربك؟!

كيف تدّعي أنك تحب الله..

وأنت تفيض حقدًا وعنفًا على من حولك؟!

كيف تؤكّد أنك تسمع صوت الله وتعمل بمشيئته..

وأنت لا تسمع استغاثة إنسان واقع بين قدميك يرجوك ألا تقتله؟!

عن أي إله تتكلم؟

من هو إلهك هذا الذي لا يرتوي إلا من دماء الإنسان؟

عذرًا.. ففي عقلي نور من إله النور

عذرًا.. ففي قلبي حبّ من نبع المحبة

عذرًا.. ففي داخلي سلام من ملك السلام»..

صدقت يا أبو غزالة وصدقت أيها الجندي المجهول..هم كالدواب صم بكم وعُماة.. لهم دينهم ولنا دين.. فهم استباحوا الدم باسم الإسلام.. والإسلام منهم براء ورسول الله.

لقد لخّص الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي ما نمر به في بيتين بليغين قال فيهما:

يادي البلاد اللّي كانت حِلمنا الزَّاهي

ومَبْعَثِ الفخر لينا فْ كافة الأوطان

إحنا انْسَخَطْنا كإنّ السَّخْطَة دي إلهي

مع إنَّها جايّة شايلة يافطِة الأديان

■■■

كان محمد أبو غزالة أيضًا وطنيًّا شريفًا وصاحب مبادئ ولا يخشى في الحق لومة لائم.. فعندما أعلن الفريق سامي عنان رئيس الأركان السابق نيته في الترشح لمنصب رئيس الجمهورية.. كتب له رسالة قال فيها:

«احتفظ لنفسك بما بقي من ماء الوجه.. بإذن الله لن تكون رئيسًا لمصر.. ماذا تستطيع أن تقدم لها؟ أنت حتى على المستوى العسكري لست مقبولًا.

ابتعد فيما تبقى لك عن مصير مصر وسياستها يرحمنا ويرحمك الله».

كذلك أتذكر موقف محمد أبو غزالة النبيل من العقيد ساطع النعماني نائب مأمور قسم شرطة بولاق الأسبق والذي أصيب بعدة طلقات في الوجه أفقدته بصره وحطمت عظام وجهه في أثناء الاشتباكات التي وقعت في منطقة بين السرايات أمام جامعة القاهرة بعد ساعات من إلقاء بيان 30 يونيو ونقل إلى المستشفى في حالة حرجة للغاية دخل بعدها في غيبوبة متصلة استمرت لفترة 60 يومًا وتعرض لجراحات عديدة على مدى عام في مصر وخارج مصر.

كان محمد أبو غزالة غاضبًا بشدة من تجاهل الإعلام لهذا البطل وكتب على صفحته على الفيسبوك: «لا أدري ما أقول.. أقل ما توصف به أنك بطل. فلا تحزن من إعلام لا يهتم إلا بالسفهاء والنشطاء والراقصات. أنحني تقديرًا لك. عذرًا إن قصرنا».

استشهد محمد قبل أن يعود العقيد ساطع إلى أرض الوطن بعد رحلة العلاج الطويلة خارج مصر.. تمنيت أن يكون محمد بيننا ليشهد استقبال السيد المهندس إبراهيم محلب رئيس الوزراء له فور عودته وتكريمه له قائلًا: «أنت لك حق كبير عندنا جميعًا وأنت وأسرتك في أعيننا.. كلنا نقدرك ونحترمك ونعزك وباسم مصر كلها أتقدم لك بالشكر فأنت في قلب كل مصري».. وبعدها ذهاب الرئيس السيسي له بعدما ألقى كلمة في حفل تخريج الدفعة الجديدة بأكاديمية الشرطة ومصافحته وتقبيل رأسه.. ثم دعوته كضيف شرف في حفل افتتاح قناة السويس الجديدة..

■■■

«وعجلت إليك ربي لترضى..

فلا تحرمني رضاك والجنة».

تذكرت هذه التدوينة التي وضعها محمد أبو غزالة على صفحته وأنا أتدافع وسط الزحام لأصل إلى مسجد قرية زهور الأمراء لألحق بصلاة الجنازة على الشهيد الحبيب.. حضر الآلاف من أهل القرية والقرى المجاورة بمركز الدلنجات بمحافظة البحيرة.. كانت الهتافات تدوي كالرعد.. إلى جنة الخلد يا شهيد. وصلت بصعوبة إلى المسجد.. كان هناك حضور كبير من قيادات القوات المسلحة والشرطة والمحافظة.. لمحت وجوهًا من زملاء دفعتنا جمدتها الصدمة أو غطتها الدموع.. وقف والده المسن بجوار النعش مرددًا: عوضي عليك يا رب.. عوضي عليك يا رب.. طلب إمام المسجد من الحضور الاصطفاف لصلاة الجنازة.. تناول الحاج زكريا أبو غزالة الميكروفون وأصر أن يؤم صلاة الجنازة على فلذة كبده بنفسه.. ارتفعت أصوات البكاء لتهز المسجد بين تكبيرات الصلاة.. نظرت إلى الحاج زكريا وهو ينظر بعين زائغة إلى نعش ولده وهو يرتفع على أكتاف المشيعين المتنافسين على حمله.. تقدم وقد انحنى ظهره وأشار لهم أن يفسحوا له مكانا ليحمل معهم.

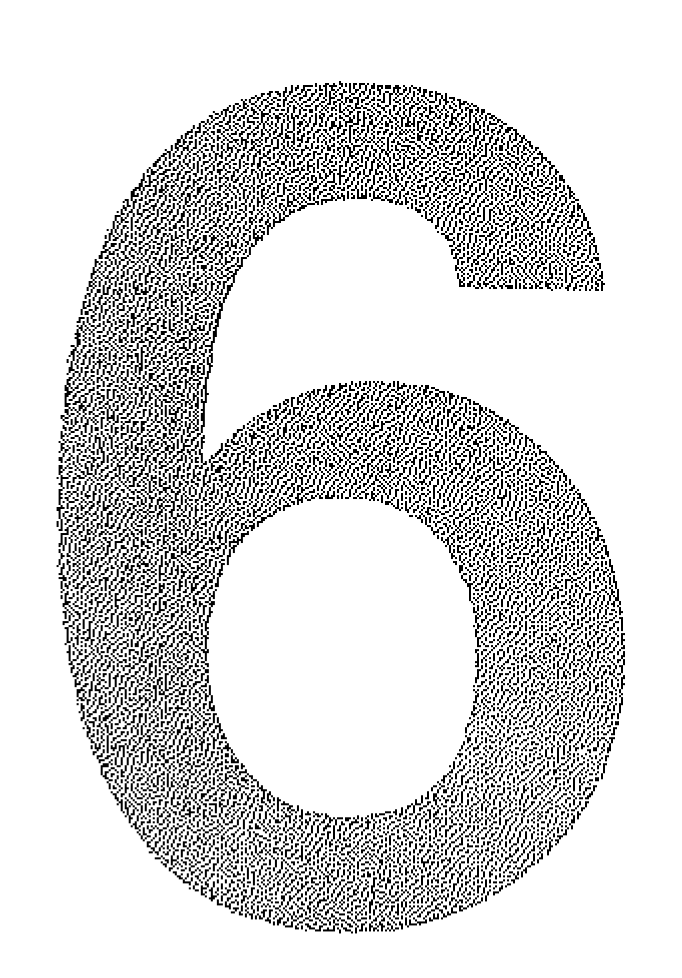
نظـرت إلى والد محمد وهـو يحمل النعش وقد حفر الحزن أخاديد في وجهه فتذكرت جملة حوارية في مشهد من فيلم هندي شاهدته منذ سنوات:

« أتدري ما هو أثقل حِمْلٍ في الوجود؟

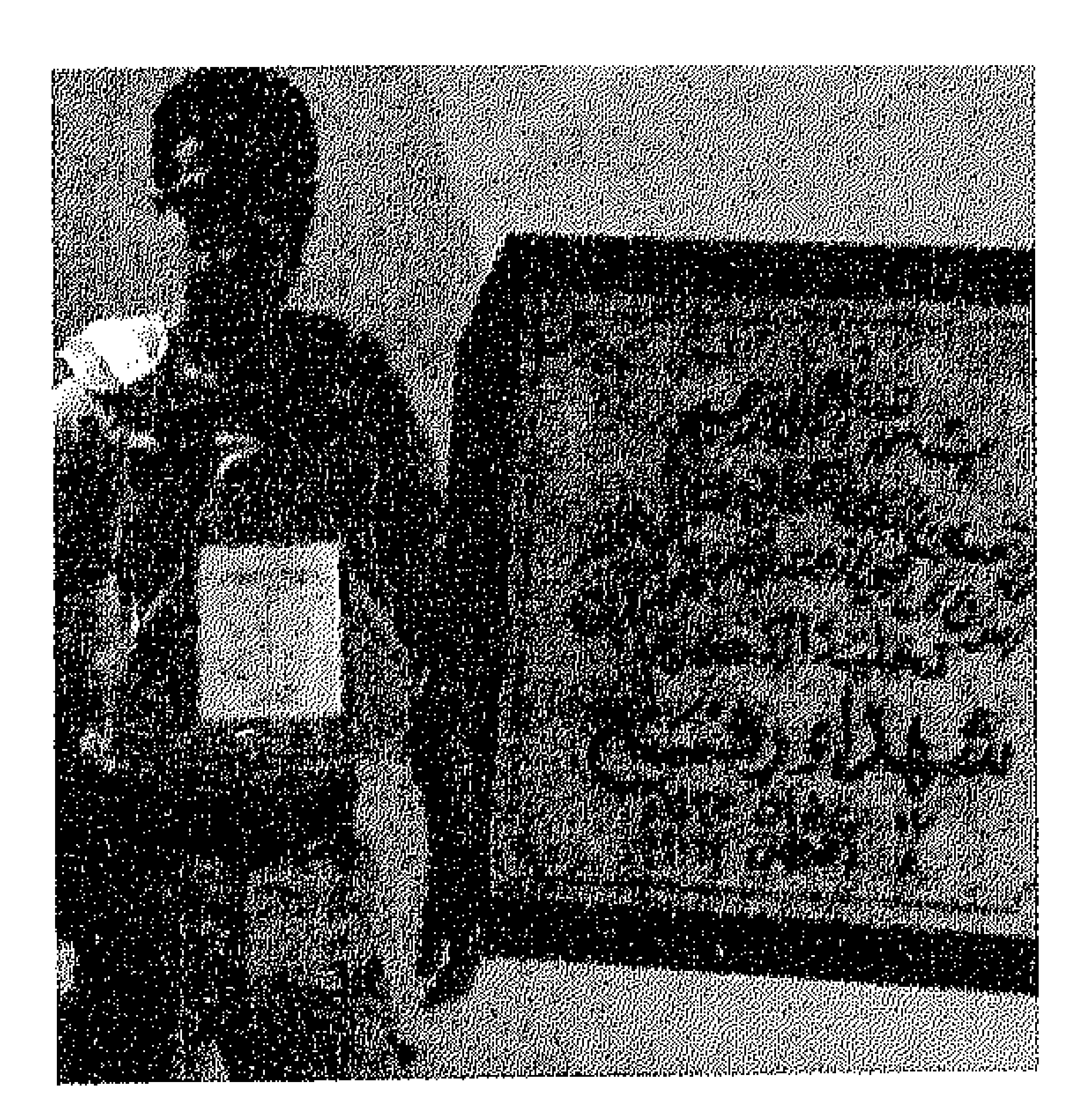
إنه نعش الولد عندما يحمله والده.. "

اللهم صبّر أباك يا محمد وجميع آباء الشهداء.

■ ■ ■



أحمد عبد السلام سلامة



«النفسية محتاجة مكّة.. فعلًا باتمناها من كل قلبي في الوقت ده..».

هذا ما كتبه الشهيد الحبيب أحمد عبد السلام سلامة في صفحته على الفيسبوك بعدما فقد ثلاثة من أعز أصدقائه وزملاء دفعته.. دفعة 103 حربية خلال شهور قليلة.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة:155).. هذا كان تعليقه في يوليو 2014 عقب استشهاد محمد إمام. وفي أكتوبر 2014 نعى محمد مجدي رجب قائلًا: «الله يرحمك يا أغلى الناس»..

وكانت ضربته القاصمة هي استشهاد أعز أصدقائه وأقربهم إلى قلبه أحمد فؤاد حسن. تحت صورة جمعته مع الشهيد الحبيب كتب أحمد سلامة:

فاكرك يا صاحبى ولسه روحك عايشة فيا

لا قبلت ولا هأقبل في دمك عمري دية

صنت الأمانة شهيد لواجبك..

ولبلادك أديت رسالتك..

كنت قد المسئولية..

كتبت اسمك حي في الجنة وشهيد مليون تحية

يللا وفي راحة وسلام يوم الشهادة في السما وفي الأرض عيد..

إيه أحلى من حسن اللقا ومسك الختام..

دمك ده مسك يا صاحبي مبروك ع الشهادة

كفنك بقى الكاب والأفرول والبيادة..

وعلم بلادك اللي ياما حميت ترابه

ربك كتبلك تبقى من أهل السعادة

أمك وأبوك مش محتاجين حد يواسيهم

ربك بكرمه ورحمته مهون عليهم..

تعبوا وربوا وكبّروا..

وعشان كدا الجنة بكرة هتبقى فاتحة دراعها ليهم.

وفي الرابع والعشرين من مارس كتب أحمد عبد السلام مخاطبًا أحمد فؤاد:

«كنت بتعشق الأغنية دي كنا على طول بنسمعها واحنا مسافرين رفح اللهم اجمعني بك قريبًا يا أبو إياد».

وضعت القلم جانبًا..وجلست أستمع لأغنية المطربة أصالة تحيا مصر.. أغنية أحمد فؤاد وأحمد عبد السلام المفضلة.. كانا يعتبران أصالة تغني هذه الأغنية لهما.. لحرس الحدود:

تحيا مصر.. مصر تحيا

رجالتها عينيها صاحية

عالحدود جنود أسود..

في كل شبر وكل ناحية

وفي الرابع والعشرين من مارس كتب أحمد عبد السلام معلقًا على صورة لسيناء أرض الشهداء: «يا رب ارزقنا الشهادة فيها.. اللهم ألحقنا بمن أحببناهم.. يا رب إنها ميتة واحدة.. فلتكن في سبيلك».

وفي اليوم التالي تلقى أحمد الطعنة التالية بتلقي خبر استشهاد محمد جمال الأكشر فنعاه قائلًا: «وداعًا يا جيمي» ثم قال: «نحن قوم قد حسمنا أمرنا.. إما فوق الأرض أعزاء أو تحت التراب شهداء».

وفي خلال أقل من شهر.. وبالتحديد في فجر يوم 20 إبريل 2015.. يدعوه الله تعالى إلى جواره.. ليلحق بأحبابه في جنات الخلد شهيدًا مكرّمًا إثر انفجار عبوة ناسفة استهدفت المدرعة التي كان يستقلها بمدينة رفح.

زميلنا النقيب أحمد حمدي من دفعة 103 كتب على صفحته: حداد على (....)، على مين ولّا مين ولّا مين؟

وعندما علم زميلنا طارق المالح باستشهاد أحمد عبد السلام كتب هذه القصة التي أبكتنا بتلقائيتها وصدقها:

«فاكر اليوم ده كويس كنا راجعين من الأجازة سوا وبعدين رحنا المينا بتاعت العريش علشان نركب اللنش بس ماكنش فيه لنش طالع في اليوم ده.. كان طالع تاني يوم.. قعدنا وماكنش فيه أكل ومش عاملين حسابنا.. وطبعًا الجو بارد لأن كنا في الشتا. بالصدفة كان معايا بطانية كنت واخدها معايا.. بس المشكلة إن ماكنش فيه سرير. لقينا كنبة بتتفرد فردناها ونمنا عليها إحنا الأربعة.. وطبعًا البطانية كانت مش كافية لأن الجو كان بارد جدًّا.. وادّفينا في بعضنا وقعدنا نهزر ونضحك من قلبنا.. واتصورنا صور سيلفي تموت من الضحك..استحملنا الجوع والبرد وأخدناها بضحك.. استحملنا علشان بلدنا مصر أم الدنيا علشان عايزين البلد تبقى في أمان. إحنا كنا أربعة: الشهيد أحمد فؤاد والشهيد أحمد عبد السلام والنقيب إسلام أبو المكارم وأنا.. دلوقتي بقينا اتنين. أصحابنا ماتوا وراحوا الجنة.. بس احنا مكملين. هانكمل مسيرتهم وهانجيب حقهم.. وإذا متنا أكيد هنبقى معاهم. يبقى اتجمعنا في الدنيا والآخرة.. يا رب اجمعنا بيهم على خير واكتب لنا الشهادة إحنا كمان.. علشان هما وحشوني قوي..أغلى وأجدع وأرجل أصحاب.. ادعوا لهم بالمغفرة والرحمة.. الله يرحمكم يا أصحابي».

احترت بين الابتسام والبكاء عند مشاهدة الصور التي أرفقها طارق بقصته..والتي التقطها الأصدقاء الأربعة لأنفسهم وهم مكدسون على كنبة واحدة.. تغطيهم بطانية واحدة في عز البرد.. ورغم الجوع والبرد.. كانت الصور تنبض بالمرح والسعادة وتقول: كله يهون لأجل عيونك يا مصر.

كالعادة.. خرجت بيانات الفرحة والشماتة من القتلة الإرهابيين وادّعت قنواتهم الإعلامية أن الجيش كان يهاجم ويقتل مواطني سيناء الأبرياء.. شعرت بالهم والغم ولكني وجدت على حساب الفيسبوك الخاص بأحمد عبد السلام ما فرج همي وأعاد البسمة إلى وجهي.. وجدت نصيحة منه لأحد الأصدقاء كان يمر بأزمة نفسية.. قال له: «مستني إيه علشان تبتسم؟ الهموم مش هتخلص ولا الضغوط هتزول.. روق بس واضحك وسيبها على الله»..

أما عن إعلام الإرهاب فأضحكني من قلبي تعليقه عن قناة الجزيرة.. قال عن العاملين بها: «خونة واللي بيتفرج عليهم أوسخ منهم.. مصر لو قررت تحارب إسرائيل.. الجزيرة هتطلع تقول لك جيش السيسي يقتل الأبرياء العزل في تل أبيب».. رحمك الله يا أحمد..طول عمرك خفيف الظل.

يوم الأحد 24 مايو كنت في إجازة لحسن الحظ.. توجهت مع العديد من زملاء الدفعة 103 إلى منوف لحضور حفل تكريم الشهيد أحمد عبد السلام سلامة رحمه الله.. أقيم الاحتفال داخل المدرسة الثانوية العسكرية بمدينة منوف والتي تم تغيير اسمها إلى مدرسة

الشـهيد أحمد سـلامة وسـط حضـور كبير مـن مواطني المدينـة وأهل الشـهيد وأصدقائه. حضر الحفل السيد اللواء قائد قوات جرس الحدود والسيد محافظ المنوفية والسيد وكيل وزارة التربية والتعليم والمستشار العسكري بالمحافظة.

قـال قائـد قـوات حـرس الحـدود في كلمتـه إن الشـهيد لـن يكون آخـر ضابط في الجيش المصري يسـقط شـهيدًا من أجـل حماية أرضه ووطنـه.. وإن مصر تسـتحق أكثر وأكثر.. مضيفًا أن أقل تقدير للشـهيد هو إطلاق اسـمه على المدرسـة العسـكرية بالمنوفية. وأضاف سيادته موجهًا حديثه لأسـرة الشـهيد: «إننا نتمنـى أن نموت بنفس الطريقة.. شهداء من أجل الوطن ومن أجل حماية المواطنين» وأضاف: «أولادنا بيتخانقـوا علشـان يروحوا سـيناء للأخذ بالثأر».. تبادل زمـلاء الدفعة 103 النظـرات.. فقـد تقدم الكثير منهـم من الموجوديـن في وحدات خارج سـيناء بطلبـات للنقل إلى سـيناء للانتقام لزملائهـم.. بعد انتهاء مراسـم الحفل توجه أصدقاء الدفعة مع والديه إلى بيته.. تأملت والدي أحمد عبد السلام المسنين.. كان أحمد عائلهما الوحيد وكان لم يتزوج بعد.. كانت والدته تبحث له عن بنت الحلال..ولكن لم يمهلها القدر. نظـرت إلى عينيها الدامعتين وقلت لها إن زملاء أحمد ورفاقه الشـهداء قد كتبوا على القذائف الصاروخية التي تتسـلح بها طائرات الأباتشـي: «من أجل دمعة كل أم شـهيد في الجيش».. ربتت على كتفي وابتسمت مـن خـلال دموعها وقالت لـي: «ربنـا يكرمكم ويحرسـكم ويرجعكم سالمين لأهاليكم يا ابني.. ».

«لـن نبـوح للظـلام بخوفنا».. مع دمـوع أم أحمد وصمتهـا قفز إلى ذهنـي عنـوان المقال الذي كتبته الكاتبة الفلسـطينية إسـراء عبوشـي.. تأثرت به كثيرًا.. فاستعدت كلماته الصادقة:

«سـيذهلها المصـاب.. سـتظهر صمتًـا فقـد قُتلـت الكلمات..لـو تكلمـت لقالت: يـا رصاصة الغدر لا تذهبي..عشـنا معًـا فلنرحل معًا. ضمي جرحي لجرحه وأفنـي أعمارنا بذات الطلقة.. واقتلي الغد بدمنا المختلـط بأرواحنا.. يتوقف القلبان معًا..وترتفع الروحان معًا.. ونبقى سـويًّا تحملنا ملائكة السماء للخلد معًا. أما أن تبقيني أحترق ببعاده كل حيـن فهـذا ألـم عظيم.. ستشـرق الشـمس باكية كل يـوم.. حيث رحل الأمـل الذي يبهجها.. وسـتفقد الحياة الإحسـاس بالنسـمات وبرائحة عطـر الرياحين.. سـتكون حياةً محرقـة للقلب بكل نبـض وبكل نفس جديد.

ومـع كل عذابهـا لا يبـدو منهـا إلا الصمـت.. فهـي أم الشـهيد. سـتخرج بملامح قوية تدعم طريق النصر وتخذل العدو وتكسر شوكته بصلابتها.. لن يشمت فينا عدونا بضعفنا أو يرى القهر يستل من نظراتنا الهوان..إنه الرباط بأرض باركها الرحمن.. فألف تحية لأم الشهيد.. ».

غـادرت عائدًا..جمعتنـي السـيارة مـع ثلاثة مـن دفعتنـا.. لـم ينطق أحدنـا بحـرف.. كانت العيـون تلمع بالدمـوع والغضـب والتصميم.. التصميـم على القضاء على الإرهاب واقتلاعه من جذوره.. التصميم علـى إكمـال مسيرة الشـهداء والأخذ بثأرهـم.. رفعـت عيني فلاحت على بعد المدرسـة وقد تشـرفت بلوحة ضخمة فـوق مدخلها.. قرأت

المكتوب على اللوحة: مدرسة الشهيد أحمد عبد السلام سلامة العسكرية - منوف.. رفعت يدي إلى جبيني بالتحية العسكرية وحذا أصدقائي حذوي.. تذكرت والدة أحمد ودموعها الصامتة.. وأنشدت بصوت حزين:

«البقاء لله يا حاجّة.. ابنك الحيلة توفى

اللي عاش على عيش ودقة.. البقاء لله توفى

اللي عمر الدنيا ديا ما طبطبتله.. أي كفة..البقاء لله توفي

اللي أحلامه الكتير حتى ملحقهاش يشوفها.. قد توفى

اللي عاش عمره في سباق.. من خناقة الثانوية.. للحياة العسكرية..

للكتيبة.. للسرية... عالحدود الفلانية

لاغتياله وهو راجع للأجازة.. للمشارح.. للنعوش.. للجنازة

لصرختك إنتي وعروسته اللي نقيتيها له

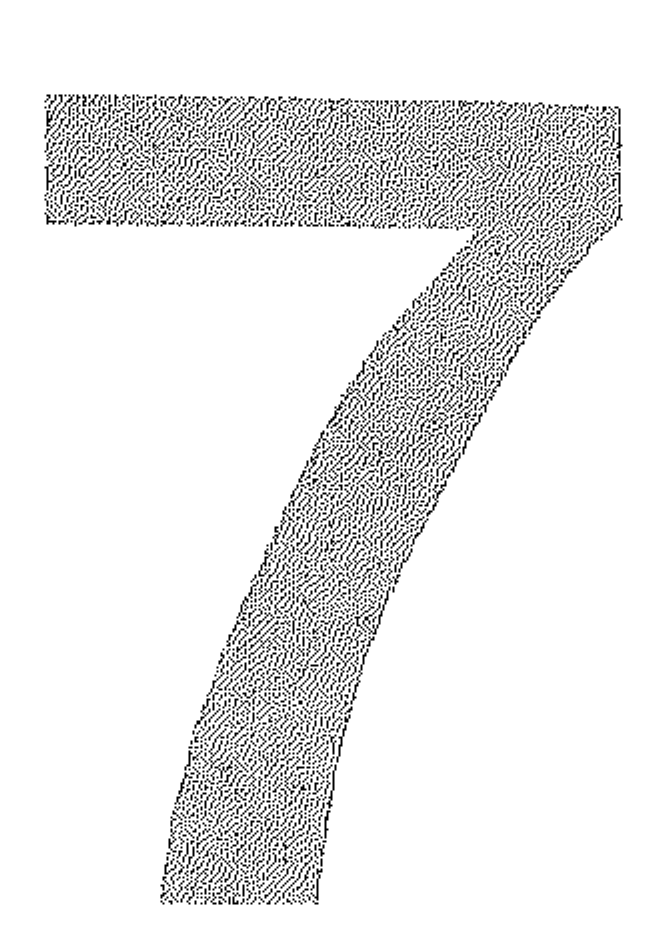
لكن راح وحتى ما كانش شافها... قد توفى

البقاء لله يا حاجّة».

ساد الصمت لفترة أطول إلى أن قطعه أحد أصدقاء دفعتنا من المقعد الخلفي للسيارة: «تعرفوا.. أنا أمل حياتي أعيش في كومباوند زي اللي بيعلنوا عنهم في التليفزيون.. ويكون ساكن معايا أصحابي..

كنت باعتبره حلم مستحيل.. لكن دلوقت اكتشفت إنه ممكن.. أكيد ممكن.. كل أصحابنا اللي استشهدوا ليهم قصور في الجنة..واحنا كمان لأننا سنلحق بهم بإذن الله».. ورفع ذراعيه نحو السماء داعيًا في خشوع: «هو طلب صغير واحد يا رب.. جمّع قصور أصحابنا في كومباوند واحد في الجنة وألحقنا بهم على خير.. آمين».

■ ■ ■





محمود رمزي فتح الله

فتحت الباب لساعي البريد وقد حمل مظروفًا كبيرًا ناوله لي مبتسمًا: جواب مسجل من الإسكندرية لك يا حضرة الضابط.. قلبت المظروف لأرى من المرسل.. امتلأت عيناي بالدموع وأنا أقرأ: المرسل: هبة رمزي.. شارع الشهيد محمود رمزي فتح الله خلف شارع 40 من شارع جمال عبد الناصر - المنتزه أول.

هبة هي شقيقة أخي الحبيب الشهيد محمود رمزي الذي استشهد يوم 25 فبراير 2014 في حادث انقلاب سيارة نصف نقل كان يستقلها في مهمة أمام قرية جلبانة أمام مركز بئر العبد بشمال سيناء فلقي مصرعه في الحال، ولم يعرف أحد شيئًا عن ملابسات الحادث.. كان محمود من أقرب الزملاء إلى قلبي بسبب تشابه ميولنا الأدبية..كان محمود يسجل خواطره في دفتر خواطر لا يفارقه.. كنت قد أرسلت رسالة إلى

هبة أن تعيرني دفتر الخواطر لعدة أيام لأستعين به في الفصل الذي كنت أكتبه عن محمود.. وها هو ذا قد وصلني بعد يومين من طلبه.

احتضنت دفتر خواطر محمود بغلافه الجلدي البني اللون.. ما زال يحمل آثارًا من رائحة عطر محمود المفضل.. فتحت الدفتر وأخذت أقلب في صفحاته وأتجول بين ما كتبه محمود بخط يده الأنيق بالحبر الأسود..كانت هناك أشعار وخواطر صاغها بنفسه.. وأخرى قرأها فأعجبته فنسخها..لم يكن محمود يفضل الاحتفاظ بكتاباته وخواطره في ذاكرة الكومبيوتر.. كان عاشقًا للقلم والورقة..

توقفت عند قصيدة نظمها محمود بعنوان شهيد وأفتخر.. كأنه كان يرثي نفسه:

«شهيد وأفتخر برمز الشجاعة والبطولة..
برمز الفدا والتضحية من غير أي قولة
بدمي أفدي بلادي وأرضي وإخواتي..
بروحي أضحي من غير ما أي حد ينادي
كتبنا شهادة وفاتنا بإيدينا لما ابتدينا
وبكل حب ووفاء غير الموت ما رضينا
لأن هي دي العقيدة اللي اتربينا فيها
تضحية – فداء – مجد – متعودين عليها
فنحن قوم أعزنا الله بالشجاعة بحقها

وحب الشهادة والتفاني والإخلاص بصدقها

ديني إسلامي جوه قلبي يقوي إيماني

وزميلي المسيحي واقف في ظهري يعينني بتفاني».

توقفت عند البيت الأخير.. زميلي المسيحي واقف في ظهري يعينني بتفاني.. كان شعوري وكأنني أسمع كلمة مسيحي لأول مرة منذ سنين طويلة.. في الجيش لا نشعر بفرق.. كلنا نهتف الله أكبر.. وكلنا نتمنى الشهادة في سبيل الله والوطن.. تذكرت أربعة من الجنود تشرفت بالعمل معهم في الشيخ زويد قبل نقلي لوحدتي الحالية.. كيرلس حبيب.. ابن الزقازيق بعينيه الزرقاوين وشجاعته وحماسه.. وشنودة إسحاق ومفدي عوني وعادل عيد.. الصعايدة الجدعان أبناء المنيا.. بروحهم المرحة ووطنيتهم الأصيلة.. كانوا يصومون معنا في رمضان. بل ويشتركون معنا في صلاة الغائب على الشهداء.. استشهد الأربعة في حادث تفجير كرم القواديس الإرهابي.. والذي استشهد فيه زميل دفعتنا الصديق الحبيب محمد أبو غزالة.

كان كيرلس مجندًا.. خريج جامعة الزقازيق آداب قسم إنجليزي.. كنا أصدقاء على الفيسبوك.. فتحت صفحته وأخذت أستعيد ما كتبه في الشهور الأخيرة قبل استشهاده:

28 أغسطس 2014

بجد إحساس غريب.. كنا قاعدين نهزر و فجأة إتضربت طلقة علينا صوتها كان صعب وعالي. كله جري يجيب سلاحه.. إوعى تموت من غير سلاحك، ده كان كلام القائد جريت جبت السلاح وضربت نار في اتجاه خدمتي واديني عايش بس مستني الموت.

28 أغسطس 2014.. بعد ساعتين

«بجد حاجة تهبل.. من ساعتين كنا هنموت ودلوقتي قاعدين نهزر»

1 سبتمبر 2014

كيرلس ينعي أحد أصدقائه معلقًا على صورته بالزي العسكري:

الله يرحمك يا صاحبي بجد كنت راجل وأطيب شخصية عرفتها واتعاملت معاها.. كان نفسي تقوم بالسلامة ونتخرج مع بعض.. بس إرادة ربنا فوق كل شيء وأكيد عند ربنا أحسن بكتير من الأرض وقرفها.. ادعيلنا ربنا يصبرنا ويصبر أهلك..

12 سبتمبر 2014

وكمان شهيد كان صعيدي جدع أوي.. كان صاحبي وكان من أسبوعين معايا.. كان بيحكيلي عن أهله وحبه ليهم وعن مستقبله واللي نفسه يحققه.

وفي لحظه انضرب بالنار ومات.. الله يرحمك يا صاحبي وعقبالي..

26 سبتمبر 2014

لست أدري كيف نمضي أو متى.. كل ما أدريه أننا سوف نمضي..

2 أكتوبر 2014 – وقفة عرفات

كل سنة وكل أصحابي واخواتي بخير ويا رب يبقى عيد سعيد على الناس كلها.

19 أكتوبر 2014

ماعدتش عارف أصبر نفسي.. والا أصبر زمايلي. الله يرحم الرجالة اللي استشهدت ويعزي أهاليهم.

24 أكتوبر 2014..

آخر ما كتبه كيرلس في اليوم السابق لاستشهاده

زي النهارده كان أول يوم لي في الميري.. أيام مركز التدريب. سنة كاملة عدت.. ربنا كان معايا في كل خطوة وقواني.. أشكرك يا رب.

ذهبت إلى جنازة الشهيد كيرلس حبيب في كنيسة الأنبا أنطونيوس بالزقازيق.. لا أنسى حزن والدته وجدته الذي يفطر القلب وقد احتضنتا نعشه الملفوف في علم مصر وقد انسابت الدموع من عيون الشماسين المحيطين بهما.. كان كيرلس أيضًا شماسًا للكنيسة خادمًا لبيت الله.. لا أنسى الكنيسة وقد امتلأت بالمشيعين مسلمين ومسيحيين وقد اجتمعوا جميعًا على الدعاء للشهيد بالرحمة ولأهله بالصبر.. لم يفكر أحد من المسلمين أو يتساءل قبل أن يدعو لكيرلس بأن يتقبله الله

مع الشهداء والصديقين في جنات النعيم بسبب كونه مسيحيًّا.. فكل مصري أصيل يعلم علم اليقين أن من يموت فداءً لمصر فهو في سبيل الله.. ومن يموت في سبيل الله فجزاؤه جنات الفردوس، مسلمًا كان أو مسيحيًّا أو حتى يهوديًّا.. جدتي حكت لي عن أسرة يهودية كانوا جيرانهم في عمارة جدي الأكبر بالظاهر.. وأصر ابنهم أن يقاتل مع الجيش المصري سنة 1948 في حرب فلسطين.. كان يهوديًّا مصريًّا يدافع عن مصر ضد الصهيونية.. قال لهم: الصهيونية شيء واليهودية شيء آخر تمامًا.. واستشهد فداءً لمصر.. ومصر فوق الجميع.

هذه هي مصر وهؤلاء هم أبناؤها الشرفاء على مر الأجيال.

نظرت بحزن لصورة كيرلس التي وضعها أصدقاؤه على موقعه الذي تحول إلى صفحة لتكريم الشهيد.. كتبوا على الصورة:

أنا صوت شهيد جاي من بعيد من قلب جنة ربنا

وعده أكيد.. وكأني مولود من جديد.. بابدأ حياتي من هنا

أنا مش وحيد.. جنب الملايكة أنا سعيد..وقالوا لي إنت في حضننا

ترحمت على كيرلس وشنودة ومفدي وعادل متذكرًا بيتي شعر بديعين صاغهما الخال عبد الرحمن الأبنودي رحمه الله:

أنا الوطن نُصِّي مسلم نُصِّي نَصْراني

في قلبي شلْت البشَر حتى اللّي كارهينِّي

النـاقِـص اللّــي هِنــا.. بِيكمِّلُــه التاني

مُسْلم أنا.. والمسيحي شايلُه في النِّني

■ ■ ■

واصلت تقليب صفحات دفتر الخواطر.. مررت بمواضيع وكتابات أراني إياها محمود من قبل عندما كنت أزوره في الإسكندرية.. تذكرت فندق المحروسة للقوات المسلحة بسيدي بشر.. لم يكن بعيدًا عن بيته.. مر شريط رحلات الإسكندرية بذاكرتي.. المرح على الشاطئ ولعب الراكت.. أكلات السمك عند حسني.. الذهاب إلى السينما في جرين بلازا.. كان رحمه الله مضيفًا كريمًا.. مرحًا وبشوشًا.. كان أيضًا طالبًا مجتهدًا أيام الكلية.. فهو الثاني على الدفعة بعد مصطفى حجاجي رحمهما الله.. كنت أشاركه في الاهتمامات الأدبية وحب القراءة والشعر.. فكنت الوحيد من أصدقائه الذي كان يترك دفتر خواطره بين يديه ليقلب صفحاته بحرية..

توقفت عند خاطرة الثنائيات..

لا تخف من اثنين لأنهما بيد لله:

(الرزق والموت)

احرص في دنياك على رضا اثنين بعد ربك:

(أمك وأبيك)

استعن في الشدائد باثنين:

(الصبر والصلاة)

تذكرت مناقشتنا لهذه الخاطرة في آخر مرة تقابلنا في الإسكندرية.. كان لا يخشى الموت و يتمنى الشهادة.. وكان دائمًا يقول إن القدر محتوم ومكتوب.. قلبت عدة صفحات لأتوقف عند قصيدة قدري محتوم.. كم كان محمود مؤمنًا راضيًا بالقضاء والقدر..

إذا لم تدق ساعتي فإلى متى تدوم

إلى مشيئة ربي أمكث وإرادة لله تدوم

إلى وقت لا ريب فيه عند الله مكتوب

ولن أهرب مطلقًا فقدري محتومٌ محتوم

فما الحياة إلا دار انتظار وقته مسلوب

فخيرًا عملت أو شرًّا فهو إليك عائدٌ مردود

فكل خير عملته مسبقًا.. فهو إليك بالفرح لاحقًا

وكل شر فعلته سابقًا.. فهو إليك بالندامة عائدا

فاغنم بحياتك ساجدًا حتى لا تكون في مماتك حائرًا

وافتح صدرك للإيمان مبشرًا بنور لله فى وجهك ساطعا

واحذر الكفر والعصيان فإنه جاعل قلبك قاتمًا مروعًا

رحمك الله يا محمود.. والله إنني قد وجدت فيك من الإيمان النقي وروح الإسلام وخشية الله ما لم أجده في الكثير ممن يسمون أنفسهم شيوخًا ويتاجرون بالدين ويوزعون مقاعد الجنة والنار.

■ ■ ■

قـرأت مـا كتبتـه هبة شـقيقة محمـود قبيل العيـد علـى صفحتها في الفيسبوك:

يا رب يصبرنا على فراقك يا أغلى محمود

سوف يأتي العيد بدونك يا أخي

و ستظل الذكريات تدور في مخيلتنا

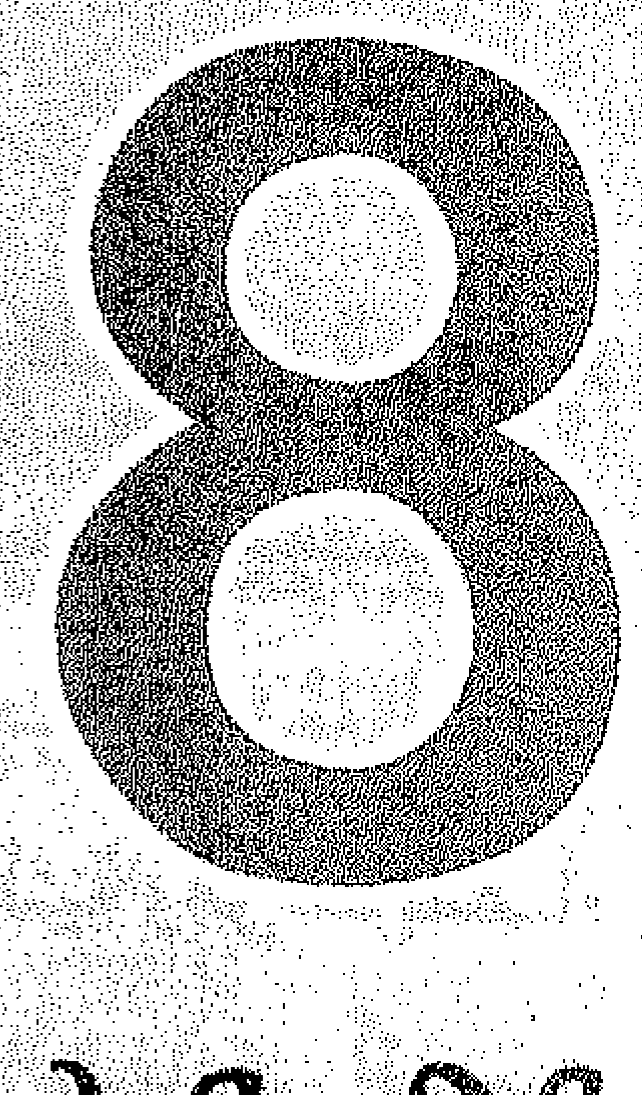
لا زلنا نفتقدك ولا زلنا نتمنى أن تعود

عيدك في الجنة أحلى ولكن بالتأكيد..

وتختـزل الأخـت المحبـة أحاسيسـها فـي دعـاء جميـل لشـقيقها الحبيب.. «**اللهم ارحم ميتًا ما زال بداخلي حيًّا**».

آميـن.. هو حيّ بداخلنـا أيضًا..صبّرك الله يا هبـة وصبّرنا جميعًا.. حتى نلقى محمود.

■ ■ ■





8 محمد عادل رزق

أبو البنات مات؟ كان هذا هو السؤال الذي تبادله زملاء الدفعة غير مصدقين عند سماعنا بخبر استشهاد زميلنا محمد عادل رزق في الهجوم الإرهابي الغادر الذي استهدف معسكر كتيبته.. كتيبة 101 بالعريش.. استعدت كلمة السيد اللواء خالد مصطفى المصاب في واقعة كرم القواديس بشظية في رقبته في حفل أقامه السيد رئيس الجمهورية والسيد وزير الدفاع لتكريم الشهداء ومصابي الحرب على الإرهاب قال فيها:إن الكتيبة 101 بداية الطريق للجنة.. الشهيد فاز هو وأهله، مانبكيش عليه ونفرح بيه، الشهيد دخل الامتحان ونجح بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف.. يا رب يكون لينا نصيب معاهم، اللهم ألحقنا بالشهداء وجنة الشهداء وألهم أهل الشهيد الصبر والرضى والسكينة والطمأنينة والهمة والنصر على أعداء الوطن».

تابعت لقاءً لإحدى القنوات التليفزيونية مع والدي الشهيد والدكتورة أميرة زوجته التي كانت تحمل طفلته الرضيعة نوران بينما جلست ابنته الكبرى رقية في حضن جدها.. بينما كانت والدته تحتضن بدلة الشهيد العسكرية. ضربت هذه الأسرة مثلًا في الإيمان والوطنية والرضا بقضاء الله..عبّروا جميعًا عن سعادتهم بنيل الشهيد شرف الشهادة.. أقسمت الدكتورة أميرة في رسالة إلى الإرهابيين إنها ليست حزينة.. فمحمد حيّ بينهم وعند الله في الجنة.. وإذا كان الإرهابيون يتخيلون أنهم سيكسرون شوكة أهالي الشهداء فإنهم واهمون..وإذا كانوا يظنون أنهم يتموا بناتي فبناتي لسن يتيمات فالذي خلقهن أولى بهن.. وأكد والد محمد استعداده لأن يضحي بولديه الباقيين فداءً لمصر ولسيناء بالتحديد.. وأقسم الحاج عادل رزق بالله بأنه لا يريد شيئًا غير أن يذهب ليحارب الإرهابيين في سيناء حتى يثأر لمحمد ولكل الشهداء.. سيحارب حتى يموت شهيدًا ويلحق بمحمد في جنات النعيم.

لم تغب صورة والدة محمد عادل وقد جلست وفي حضنها بدلته العسكرية عن بالي طوال اليوم.. كان الشيء الوحيد الذي يؤرقها أنها ودعته في المنزل ولم تصحبه حتى السيارة.. لم تكن تعلم أنه الوداع الأخير. أغشي عليها وقت أبلغت خبر استشهاده.. وما إن أفاقت حتى أخذت تحمد الله وتشكره على إكرام ولدها بالشهادة.. أخذت تتباهى فخرًا وتقول للجميع: ابني شهيد.. أنا أم الشهيد.. ودعته بالزغاريد إلى مثواه الأخير.. تأملت ملامح وجهها وقد اجتمعت في نظرات عينيها

آلام الأم الثكلى وفخر وسعادة أم الشهيد المؤمنة الموقنة التي تعلم ما أعد الله له ولها من نعيم.. دمعت عيناي وأنا أقرأ هذه الأبيات التي أرفقها أحد الأصدقاء بصورة لأم الشهيد ثم نشرها على صفحته:

كلميني يا رصاصة

كلميني وطمنيني..

لما كنتي في قلب ابني.. إتوجع؟

طب كان بيبكي؟

طب مات جدع؟

طب حس بيكي أو اتصرع؟

وانتي داخلة بكل قسوة تقتليه..

كنتي عارفة انك رايحة تحرميه من حياته ومن حياتي؟؟

هوه كان أطيب ولادي..

كان يوماتي يبوس إيديه..

ويقرا كل اللي في عنيه..

و كان بيقضي حاجاتي ليه..

كنت لما يوماتي أصلي أدعيله من كل قلبي..

يفضل طول حياتي سندي..

وبعد ما اموت يبقى لي صدقة.

بس أنا عشت وهوه مات..

إرهاب خد عمره سرقة.. وساب بموته في قلبي حرقة..

يا رصاصة.. هوه إنتي حالفة تختاري الشباب؟

و بعد موتهم برضه حالفة..

تسكني جوه قلب الأمهات؟

اللهم صبّر أم محمد عادل واربط على قلبها.. هي وكل أمهات الشهداء.

شعرت بالألم الشديد.. ينسى الكثيرون أن الشهداء كانوا أناسًا عاديين.. أبناء وأشقاء وأزواجًا وآباء.. كانت لهم حياة وآمال وطموحات.. ليسوا في النهاية مجرد صورة في خبر أو اسم لمدرسة أو شارع أو ميدان.. إنهم رجال آمنوا بربهم وأقسموا على حماية وطنهم وبذلوا أرواحهم فداءً له.. تاركين خلفهم أمًّا ثكلى وأبناء يتامى وزوجة ترملت.. ماتوا ليعيش الوطن.

■■■

استشهد محمد عادل في الهجوم الغادر الذي قامت به جماعة ولاية سيناء..وهو الاسم الذي اتخذته جماعة أنصار بيت المقدس بعد مبايعتها لتنظيم داعش الإرهابي. استهدف الهجوم مقر الكتيبة 101 في العريش..والتي تعتبر مقر القيادة للقوات المنتشرة في العريش والشيخ زويد ورفح.

أدى الهجوم إلى استشهاد 29 وإصابة 81 من زهرة شباب القوات المسلحة حيث اقتحمت سيارة صهريج مفخخة بوابة الكتيبة 101 وفجرها قائدها الانتحاري داخل المعسكر قرب استراحة الضباط والجنود.. وخلال الفوضى التي تلت الانفجار دخل انتحاريان مسلحان بأسلحة خفيفة كانا يرتديان أحزمة ناسفة وقاما بتفجير أنفسهما.. يقول الناجون إن محمد عادل نجا من الانفجار لكنه استشهد في تبادل إطلاق النار مع إرهابيين كانوا يطلقون النار من خلف أسوار الكتيبة.

تحدثت داعش بكل فخر وتشفٍّ عن هذه العملية الإجرامية التي سموها بالغزوة المباركة ضمن سلسلة عمليات (قسمًا لنثأرن) ضد جيش مصر (المرتد) بعد أن وصل الإجرام بعصابات الجيش والشرطة في مصر إلى المذابح الجماعية واغتصاب حرائر المسلمين والمجاهرة بالعداء للدين كان لابد من أيادٍ متوضئة طاهرة مجاهدة وسيوف بتارة قاطعة تقطف رءوس أهل الردة والفجر.

انهمرت دموع الغضب من عيني وأنا أقرأ مستنكرًا هذه العبارات الحقودة الكاذبة المنحطة.. الجيش المرتد؟.. عصابات الجيش والشرطة؟..اغتصاب حرائر المسلمين؟.. أهل الردة والفجر؟.. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. عمن يتحدثون؟ وكيف يتجرءون على الإتيان بهذا الكم من الكذب والافتراء؟

حقًّا.. صدق الله العظيم عندما قال: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ (النحل - 105). لا يمكن أن يكون هؤلاء مؤمنين بالله ولا آياته.

لم أعرف هل أضحك أم أبكي أم أصرخ وأنا أقرأ دعاءهم الذي أنهوا به بيانهم طالبين من أتباعهم أن يدعوا لهم بهذا الدعاء:

«اللهم منزل الكتاب مجري السحاب هازم الأحزاب، اهزم الصليبيين ومن حالفهم من المرتدين.. اللهم اجعلهم وعتادهم غنيمة للمسلمين.. اللهم دمّرهم وزلزلهم.. اللهم أنت عضدنا وأنت نصيرنا.. اللهم بك نصول وبك نجول وبك نقاتل.. والله أكبر».

قررت أن أضحك.. وقمت بتعديل الدعاء كالتالي.. وقررت أن أنشره وأستخدمه:

«اللهم منزل الكتاب مجري السحاب هازم الأحزاب، اهزم الإرهابيين ومن حالفهم من المرتدين.. اللهم اجعلهم وعتادهم غنيمة للمسلمين.. اللهم دمّرهم وزلزلهم.. اللهم أنت عضدنا وأنت نصيرنا.. اللهم بك نصول وبك نجول وبك نقاتل.. والله أكبر».

نعم.. الله أكبر.. وهو العليم الخبير.. ويعلم من هم المسلمون ومن هم المؤمنون ومن هم المرتدون ومن هم عباده الصالحون.. وأي جانب سيؤيده بنصره.. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

■ ■ ■

اشتهر محمد عادل بين زملائه بوطنيته الشديدة وحبه الجارف لمصر.. كان شجاعًا لا يخشى الموت بل يسعى للشهادة.. كان يقول لنا: «أنا ابن السويس.. بلد الأبطال والصمود والشهداء.. حب مصر بيجري في دمنا». كم كان فخورًا بالسويس ودور أهلها الوطني.. قص علينا الكثير من قصص بطولات السوايسة.. حكى لنا عن حافظ سلامة شيخ مجاهدي السويس وبطولاته منذ أيام مقاومة الإنجليز وفي حرب الاستنزاف ثم قيادته لصمود مدينة السويس لمائة يوم حاول الجيش الإسرائيلي فيها اقتحامها أيام ثغرة الدفرسوار خلال حرب أكتوبر 1973.. وقتها قاد حافظ سلامة المقاومة الشعبية من مسجد الشهداء. وحكى لنا محمد عادل بفخر عن معركة 24 أكتوبر 1973. أذكر كيف كانت عينا محمد عادل الواسعتان تلمعان وهو يقص علينا فخورًا قصة الفدائي البطل الشهيد أحمد أبو هاشم الذي كان قائد كمين مزلقان البراجيلي وكيف صوب مدفعه (الآر بي جي) على دبابة مؤخرة طابور الدبابات الإسرائيلي الذي كان متجهًا لاحتلال السويس من مدخلها الجنوبي بينما اختبأ أبطال المقاومة على جانبي شريط السكة الحديد وعلى أسطح المنازل وتركوا طابور الدبابات يتقدم متخيلًا أن السكان قد هجروا المدينة.. وعند قسم الأربعين قام أبطال المقاومة بتدمير دبابة القيادة بينما دمر الشهيد أبو هاشم دبابة المؤخرة وتوقف الطابور غير قادر على التقدم أو التقهقر.. ليظهر أبطال المقاومة الشعبية ويقوموا بتدمير 67 دبابة ومدرعة إسرائيلية في خلال ثلاث ساعات فقط..

ويقوموا باحتجاز الضباط والجنود الفارين أسرى في قسم الأربعين. سقط أحمد أبو هاشم شهيدًا وكان أول من استشهد في هذه المعركة الفاصلة التي منعت إسرائيل من احتلال السويس.

كان أبو هاشم هو مثل محمد عادل الأعلى.. كان عادل يتمنى الشهادة مثله.. وأنالها له الله.

شعرت بغصة في قلبي وأنا أسترجع هذه القصة.. أبو هاشم قتله جندي إسرائيلي.. ومحمد عادل قتله إرهابي عربي.

أيام معركة السويس كان الصهاينة هم أعداءنا..وكان الجيش المصري يحاربهم بالنيابة عن المصريين والفلسطينيين.. أما الآن فللأسف الشديد أعداؤنا المتربصون بنا مصريون وفلسطينيون.. أما الصهاينة.. فقد تفرغوا لتنمية بلدهم والارتقاء به.

■■■

أخذت أقلب في التدوينات التي سجلها أصدقاء محمد عادل وأحبابه على صفحته على الفيسبوك.. توقفت عند قصيدة كتبتها السيدة عواطف توفيق زوجة عم الشهيد.. قالت فيها:

موتك موتني وحياني.. ما تستغربش

صوتك في القبر اللي ناداني علشان ما اسكتش

دمك في الأرض اللي بيصرخ خلاني ما انامش

بس أنا باوعد إبني حبيبي حقك راجع..لأ ما تخافش

وحياة الزهرة اللي اتقطفت

وحياة الضحكة اللي اتخطفت

وحياة البسمة اللي اتحرمت منها الدكتورة

وحياة الحب اللي بنحكي ونقول أسطورة

وحياة الأم اللي بتصحى بأحلام مبتورة

والأب اللي بيحلف عمره ما هينسى الصورة

وحياة الآه المكتومة في قلبي المكلوم

وحياة النظرة اللي باشوفها في عينيك باللوم

وحياة العمر اللي اتاخد غدر وغصبان

وحياة الوش اللي منور نور القرآن

وحياة شبابك وبناتك روكا ونوران

وحياة أحلامك وطموحك تحمي الإنسان

وتعمر مصر وتبنيها ويعلى البنيان

وتفرّح بالخير أهاليها بعد الحرمان

لنطهّر وطنك م الخونة ومن كل جبان

يا محمد عادل يا أعز وأغلى الشبّان

هذا شعور زوجة العم.. فكيف شعور أقارب الدم؟

■■■

خرجت السويس عن بكرة أبيها لتشييع جنازة الشهيد محمد عادل من مسجد الخواطرة عقب صلاة المغرب.. شيعه آلاف المواطنين تتقدمهم قيادات الجيش الثالث بالسويس في جنازة عسكرية وشعبية وسط هتافات (لا إله الا الله، الشهيد حبيب الله).. سارت الجنازة مسافة خمسة كيلومترات حتى المقابر.. وعند المقابر استقبلت نساء القرية النعش بالزغاريد..

أنا أعتبر الزغاريد في جنازات الشهداء رمزًا عميق المعنى.. شديد الخصوصية لنساء مصر.. حيث يتجسد الإيمان العميق بالله وبمكانة الشهيد والوعد الإلهي بأن الشهيد حي يرزق في عليين.. هذه الزغاريد تجسد حب مصر والرضا بالتضحية بفلذات الأكباد فداءً لها.. تجسد روح التحدي وتحمل رسالة واضحة للعدو.. لن ننكسر ولن نخاف ولا نبالي ولا نمانع في تقديم المزيد.. شهيدنا عريس ونحن نزفه إلى السماء وإن بدا أننا نشيعه إلى القبر.. حماك الله يا مصر وأعزك بشعبك.. برجالك ونسائك.. بشهدائك الكرام وذويهم العظام.

وضعت القلم جانبًا وأعدت قراءة ما كتبته عن أخي الحبيب الشهيد محمد عادل.. تذكرت أغنية كان يحبها وكنا ندندن بها معًا.. أغنية حكاية شهيد التي كتبها الملازم مالك أنس وغنّاها ملازم أول شرطة أحمد إسماعيل وأبكت كل جنود وضباط الشرطة والجيش في مصر لأنها تقول كل ما نريد أن نقوله.. قمت بتشغيل الأغنية وجلست أستمع

إليها وأغني معها.. لن تصدقوني إذا قلت إنني كنت أشعر بوجود محمد عادل إلى جواري يغني معي ويستمتع بسماعها معي..

قام في يوم لبس البيادة..

خد سلاحه نوى الشهادة..

قال يا ربي..املا قلبي..بالعزيمة وبالإيمان...

صوت رصاص الغدر زاد..

لحظة شاف فيها البلاد..

وافتكر نيلها وعبيرها..والجرس ويا الأذان...

قال ساعتها مافيش رجوع...

كان نفسي ابني أشوفه يكبر قدامي..

وآخده في حضني أو حتى يوصل له سلامي.

وأمسح دموع أمي بإيدي وأوطي على إيدها وأبوسها.

وأقول لأبويا ابنك راجل ومات وهو بيحرسها

ودمه على الأسفلت ساح.. بس ما وقعش السلاح

وبيسالة.. ساب رسالة..إن مصر ماتنحنيش

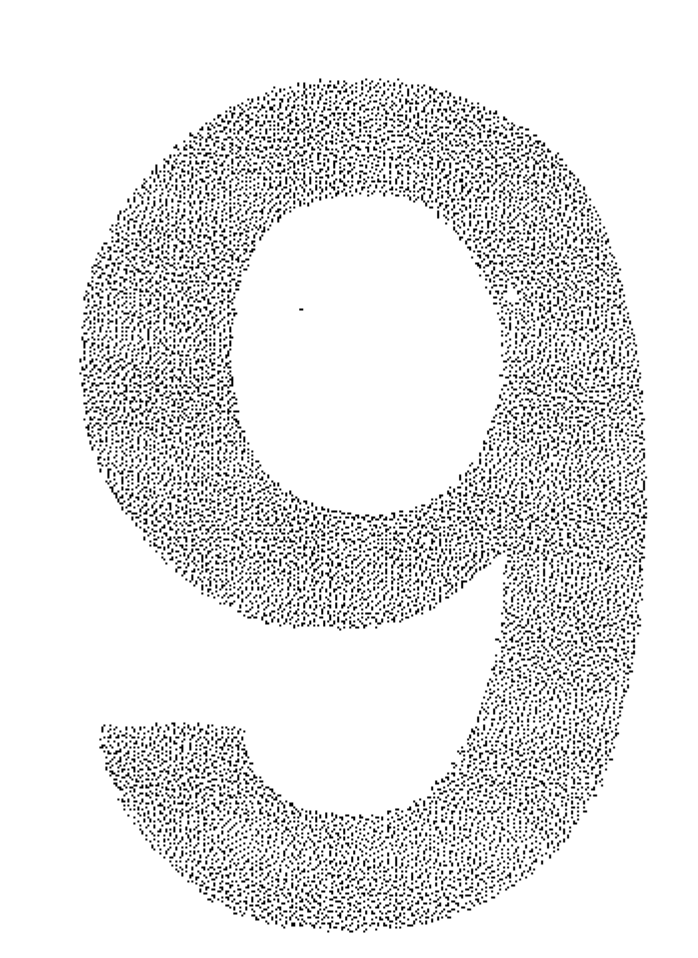
قال لكل اللي يخونوها.. ليها رجالة يصونوها..

والشهيد مستني دوره.. والطابور ما بينتهيش..

موتنا عزة مش ركوع.

نعم يا محمد عادل.. موتك أنت ومن سبقك ومن سيلحق بك عزة وليس ركوعًا.. وسنذهب جميعًا وتبقى مصر لأولادنا وأحفادنا.. وكل من يريدها بسوء سيرد الله كيده في نحره.. ستبقى مصر وسيبقى أهلها في رباط إلى يوم الدين.

❖ ❖ ❖





أحمد محمد أبو العطا

لـن أنسـى أبـدًا منظر الطائـرة المروحيـة التي كـان يسـتقلها زميلي الحبيـب أحمد أبـو العطا وهـي تتهاوى وقد اشـتعلت فيهـا النيران إثر إصابتها بصاروخ سـام أرض جو أطلقـه أحد إرهابيي جماعة كفار بيت المقدس الذين قاموا فخورين متشـفين بتصويـر إطلاق الصاروخ على الطائرة وإصابتها ومن ثم سـقوطها واستشـهاد أحمد وأربعة من زملائه كانوا على متن الطائرة فى الخامس والعشرين من يناير 2014.. ويشاء اللـه أن يتحـول فيلم الشـماتة الذي قـام الإرهابيون بتصويـره إلى فيلم توثيقي يظهر كيف غير أبطالنا مسـار الطائرة وهي تهوي حتى لا تسـقط فـوق منطقة مأهولة بالسـكان.. ويظهر أيضًا عندما أضيف إليه تسـجيل الصوت داخل كابينة الطائرة.. كيف تسابق أبطالنا مع الزمن في الثواني القليلـة بين إصابة الطائـرة وارتطامها بالأرض مرددين الشـهادتين عدة مرات.

عجبت وأنا أقرأ تعليقات مؤيدي الإرهاب وهم يصفقون ويهللون لمقتل (جنود فرعون أعضاء جيش الردة) كما يسموننا. انفطر قلبي وأنا أقرأ تعليقات الفرحة العارمة والشماتة الشديدة على موقع الناشط الإخواني الهارب عبد الرحمن عز عندما وضع فيديو سقوط الطائرة على موقعه تحت عنوان: إخوة الأنصار نزلوا الفيديو بتاع استهداف الطيارة.. الله أكبر.... بينما توالت علامات الإعجاب وتعليقات الإخوان الشامتة والمؤيدة للإرهابيين من عينة: «هما دول الرجالة بجد».. «هما دول اللي يستاهلوا يتقالهم تسلم الأيادي»، و»ربنا يثبتهم يا رب» و»عاش الأبطال».

فهمت ما وراء شماتة هؤلاء الشامتين مدعي السلمية عندما قرأت على صفحة داعش رسالة من أحد قياداتهم موجهة إلى شباب الإخوان:

«أغبطكم على صمودكم وشجاعتكم.. وأدعو الله أن ينصركم. ولن أزايد عليكم ولكنكم في صراع عقيدة مع عدو يعرف هدفه ويعلنه بكل وقاحة ألا وهو منع تطبيق الشريعة الإسلامية. لذلك فهو عدو لم ولن يحقن الدماء ولم ولن يرتدع عن المساس بالأعراض، إنه عدو لا يرقب في مؤمن إلّا ولا ذمة.. وهو عدو لن يردعه إلا الجهاد. فإن لم نكن ممن يجاهد بسلاحه فعلينا ألا نكون عونًا على المجاهدين فنهاجم جهادهم الذي ما هو إلا لنصرة الدين وندافع عمن يثخن في المسلمين.. فكم من شاب مؤمن وفتاة مؤمنة سفكت دماؤهم وأزهقت أرواحهم بأيدي هذا العسكري الغلبان الذي يدافع البعض عنه وكم قتل الجيش والشرطة من المسلمين، وهم على استعداد أن يقتلوا أضعاف

ما قتلوا. فلا حل مع هؤلاء إلا ما يقوم به المجاهدون. فكم عدد أعضاء جماعة الإخوان مقارنة بجماعات الجهاد ورغم ذلك ها هي هذه الجماعات تثخن في العسكر وتذلهم وتنكل بهم. فإن لم نقتدِ بهم.. فعلى الأقل لا نقف ضدهم».

حتى التعاطف مع (العسكري الغلبان) لا يجوز طبقًا لشريعة داعش التي تحرض على العنف والقتل والإرهاب.. هذه الشريعة التي أباحت قتل الشهيد أحمد وحرمان ابنه آسر البالغ من العمر أربعة شهور من حنان الأب.. هؤلاء المشرعون والمحرضون هم من ذبحوا 21 شابًّا مصريًّا في ليبيا وأحرقوا الطيار الأردني حيًّا وقتلوا وذبحوا وصلبوا الآلاف في سوريا والعراق.. وهاهم أولاء يجندون شباب الإخوان في مصر لينضموا إليهم في القتل.. وها هي العمليات الإرهابية تتسع لتقتل المدنيين الأبرياء في قلب مصر.

وها هي ذي جماعة الإخوان تتباكى على قتلى المسلمين في بورما.. بينما يجهرون بشماتتهم في قتل جنود مصر وسوريا وليبيا بواسطة داعش..

تجسدت أمام عينيّ كلمات سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.. وهو يتنبأ بما نعيشه الآن من فتن مظلمة حين قال:

«ليغشين أمتي من بعدي فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا. يبيع أقوام منهم دينهم بعرض من الدنيا قليل».

«سيأتي على الناس زمان سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب.. ويكذّب فيها الصادق. ويؤتمن فيها الخائن.. ويخون فيها الأمين».

صدقت يا رسول الله..وها نحن أولاء.. خير أجناد الأرض.. نفقد أفضل الرجال وأشجع الرجال كل يوم لنحمي مصر وأهلها من الدجالين الكاذبين الخونة تجار الدين. بحق دمائك الزكية يا أحمد..وبحق كل شهيد بذل روحه فداء مصرنا الحبيبة.. سنواصل مسيرتنا ونكمل مهمتنا لنطهر مصر من هذا الإرهاب وسندفن هذه الفتن وصانعيها تحت ثرى هذا الوطن الأبي.

■■■

والدة أحمد احتسبت زهرة عينها عند الله شهيدًا وهي فرحة لشهادته والنعيم الذي ينعم به عند ربه.. فهي واثقة أنه سيأخذها معه إلى الجنة.. قالت إن مصر ولّادة. فإن قتلوا أحمد سيأتي عشرة غيره يأخذون بثأره ويحمون مصر ويقضون على الإرهاب وشياطينه مكتفية بأن تقول لمن حرموها منه باسم الإسلام: حسبنا الله ونعم الوكيل.

وكتبت شقيقته الكبرى مروة على صفحة الشهيد:

عندما تترك أمانة عند أحد تثق به فيقول لك إنها «بعيوني» تشعر بالأمان لحاجتك لسماع ذلك.

فبماذا تشعر عندما يقول لك رب العالمين: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾؟

مـا أعظمـك يـا الله..أسـتودعك الله الذي لا تضيـع ودائعه يا أخي الحبيب.

وعلى صفحة أحمد رأيت صورة تجمعه مع المرحوم الملازم عمرو خالـد أبو حجر الذي تخرج معه في دفعـة 76 دفاع جوي.. وكان أيضًا زميلنا في دفعة 103 حربية.. كان عمرو أول شـهداء دفعتنا.. استشـهد خلال طلعة تدريبية على طائرة الأباتشـي في 20 يوليو 2011.. عمرو ابـن مدينة الشـهداء بمحافظة المنوفية.. أذكر ذهابنـا جميعًا إلى جنازته العسـكرية حيث دفن فـي مقابر شـهداء القوات المسـلحة.. كنا نتبادل نظـرات زائغـة.. لـم تكن الحرب علـى الإرهاب قد بـدأت بعد وكانت الأحـوال معقولـة علـى الحـدود. فكـان استشـهاد أحـد زملائنـا خبرًا صادمًـا.. لـم تكن الأمور كالآن.. حيث أصبـح الموت جزءًا من روتين حياتنا اليومية وكأننا جميعًا ننتظر دورنا. كان أحمد أبو العطا هو الشهيد الثانـي من دفعتنا.. كان أول من لحق بعمـرو أبو حجر. ولكنه كان أول شهداء الإرهـاب.

■ ■ ■

تذكـرت الفنانة نجمة إبراهيم في فيلم ريا وسـكينة عندما قالت هذه العبارة الغريبة: «شوف بنت الحرام عضتني فى إيدي وانا بخنقها تقولش عدوتها» عندما قرأت هذه التغريدة لشخص اسمه هشام عبد الجواد:

«كـلاب السيسـي تقوم بقصف منـزل الأخ الذي أسـقط الطائرة في الشيخ زويد – سيناء ولا حول ولا قوة إلا بالله»..

حقًّا شر البلية ما يضحك !

■■■

لم أجد أنسب من القصيدة التي كتبها الطيار حسين الجندي في رثاء صديقه أحمد أبو العطا لأختم بها هذا الفصل عن الشهيد:

«فرح العدو وكبر..وقال والله احنا شداد

افرح كمان وهلل..انت قتلت خير الأجناد

دمه ما راحش هدر.. سايل على الفيروز

مين يا أحمد للشهادة غيرك؟.. عريس للسما بأفرول

بابتسامتك القمر تودعنا.. للشهادة تستحق تنول

هيقولوا مات أحمد.. لأ حي عند ربه

ولا دمعة تنزل عليه.. يفتخر بيه سربه

جدع مجدع شهيد.. ابنك يا بور سعيد

والله زمان يا سلاحي.. باهدي لمصر كفاحي

واليوم مش حزن لا فرحة.. دي مصر اليوم في عيد

أحمد ده راجل يا مصر.. ولا دمعة تنزل عليه

بس أنا باكتب بدموعي.. ولا ألف دمعة تكفيه

مين ليها يا أحمد غيرك.. ما انت كنت بتتمناها

أرضك يا ابني شرفك.. دوّر عالشهادة تلقاها

هيقولوا مات واستشهد.. لا انت الأول ولا الأخير

ولا هنزعل ولا هنيئس.. بالعكس تنفرج الأسارير

عندنا عريس للسما.. قمر منور ليكي يا مصر

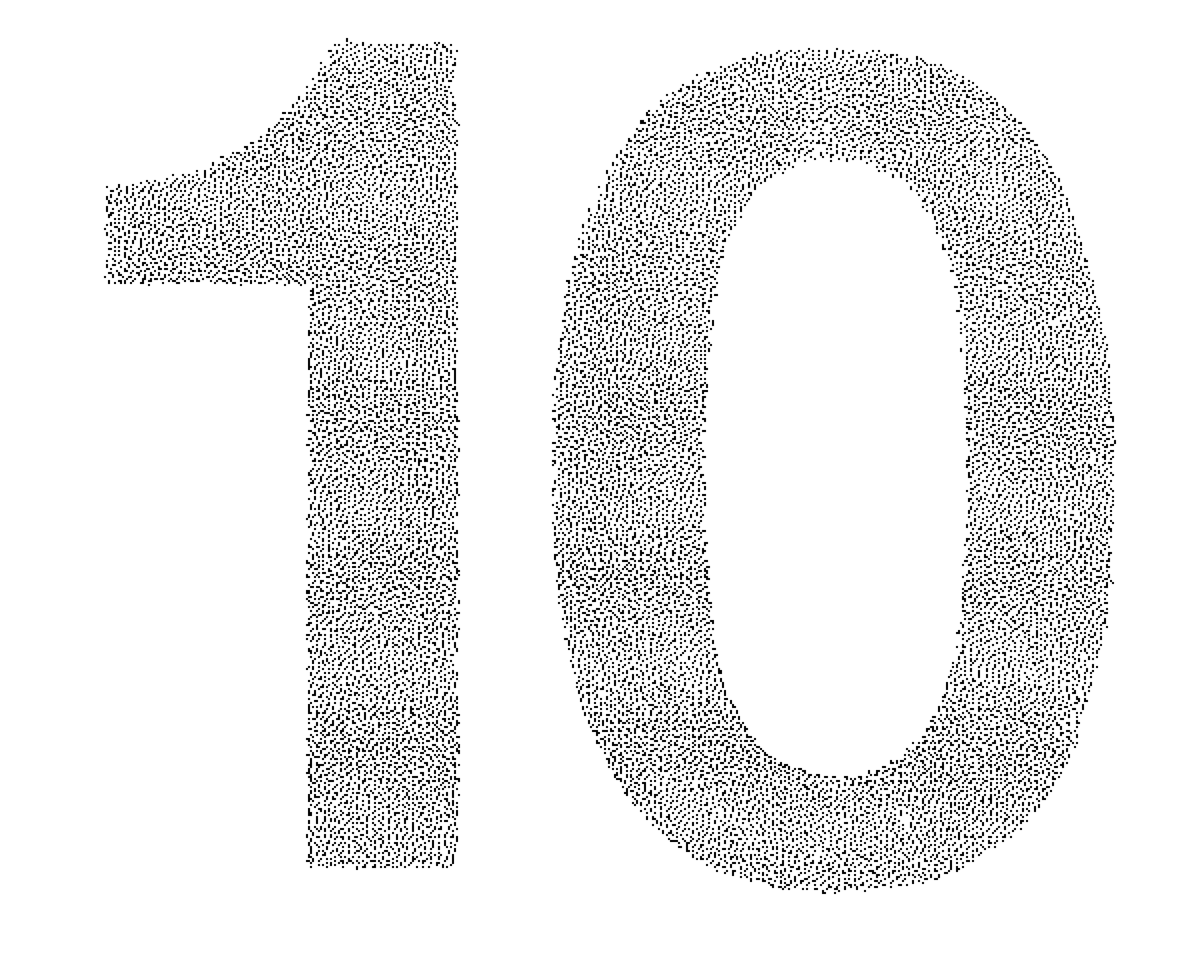
زفة وتشريفة ومدفعية.. ويوم شهادتك يوم النصر

الوداع يا عريس السماء.. الوداع يا قلب مصر».

الـوداع يـا قلب مصـر.. صدقت يا حسـين.. فالشـهداء ليسـوا فقط قلوب أمهاتهم.. هم قلب مصر كلها..

■■■





10 محمـود طـه إبراهيم

تذكرت ذهابي مرتديًا زيي العسكري إلى طنامل بالمنصورة لأشهد جنازة صديقي الحبيب محمود طه إبراهيم.. الشهيد الرابع عشر من دفعة 103 حربية.. تقدمت من والده الحاج طه لأقدم واجب العزاء..ما إن رآني حتى أخذني في حضنه وأجهش بالبكاء.. بكاء من القلب يهز الحجر.. حاولت أن أتماسك لثوانٍ ثم شاركته البكاء حتى أبكينا كل من حولنا.. بكيت على محمود وعلى كل من سبقه إلى الشهادة من دفعتنا.. فقدت واحدًا كل شهر منذ بداية عام 2015 وخمسة العام الماضي.. بكيت على الجنديين اللذين استشهدا معه.. بكيت على زميله ملازم أول عبد القادر مجدي الذي استشهد معه تاركًا زوجته وهي حامل في شهرها الخامس في أول أبنائهما الذي كتب له ألا يرى أباه الذي شيعت جنازته قبل ظهر اليوم في بركة السبع.. بكيت على مصر الأمن والأمان التي تلتهم نار الإرهاب زهرة شبابها كل يوم.. أحاط الحاج طه وجهي

بكفيه وأخذ ينظر بحنان في عينيّ.. قبل رأسي ودعا لي ثم قبض على كفي وقال لي: «اوعدني تاخد بثأره.. ثأر محمود أخوك وباقي إخواتك يا حسام».. هززت رأسي مؤكدًا ووعدته بصوت خنقته الدموع..

جلست قبالة الحاج طه في انتظار وصول الجثمان إلى المسجد.. جلس ساهمًا وقد أراح رأسه على كفه ولم يرفع نظره عني.. قفزت إلى ذاكرتي قصيدة قرأتها على صفحة محمود وضعها أحد أصدقائه مع صورة لوالده في الجنازة العسكرية:

«قل لي يا ابني

ما شفتش ابني؟

كان لابس زيك تمام

طاقية بنسرها على راسه..

والبيادة والحزام

وفي إيده ماسك سلاحه

وفي الطابور على طول قدام

واد سمارة وهيبته راجل

والقلب لساه يا دوبك غلام

ولاعمره يوم عن أمه اتأخر..

ولا عمره يوم عن واجبه نام

لو حد شافه يقول له أبوه جاله

الشقة خلصت دهان

وخطيبتك بتسلم عليك

والعيلة باعتة لك سلام

ابنك يا والدي عند ربه

شهيد يشفع للأنام

يمسك إيديك يوم القيامة

يحميك يوم الزحام

وياخدك لباب الجنة..

ويرفعك لأعلى مقام

ابنك ما ماتش يا ابويا

ابنك حي عند ربه ف الجنان

آااه يا ولدي

خدك الموت مني

وانت في عز الشباب

خدك وسابني وساب

شعري اللي شاب

خدك ورماني في وسط العذاب

طب أقول لأمه إيه؟

لما تسألني عن ضناها اللي غاب.

والله..

لأصرخ صرخة تصحي كل الجيش

يا رئيس يا مشير يا فريق يا شاويش

ابني كان بينه وبين عُرسه ما فيش

ابني راح عندكو وما جاليش

ده أنا في الدنيا دي غيره ماليش

ابني مات...

ابني مات علشان الوطن يعيش».

■■■

كانت وحدة محمود قد تلقت معلومات استخباراتية تؤكد زرع سبع عبوات ناسفة بمنطقة طويل الأمير بمركز ومدينة رفح تم تجهيزها وتنشيطها للاستخدام ضد قوات الجيش. فخرج طاقم متخصص في التعامل مع تلك النوعية من العبوات الناسفة بقيادة محمود.. حيث تم تحديد أماكن عدد ست عبوات وتفجيرها عن بعد بنيران الرشاشات ولم يتم العثور على العبوة السابعة. أبى محمود والطاقم المرافق له أن يعودوا لوحدتهم دون العثور عليها وتفجيرها خشية أن تصيب مجموعة أخرى من زملائهم، وتم توسيع نطاق البحث أملًا في العثور عليها.. إلا أن يد الغدر والإرهاب سبقتهم بتفجير العبوة المتبقية ليلقى

الأبطال الأربعة محمود طه والملازم أول عبد القادر مجدي والجنديان أحمد فهيم ومحمد بخيت الشهادة ضاربين المثل والقدوة في الفداء والتضحية.

وكالعادة.. أعلن تنظيم ولاية سيناء التابع لتنظيم داعش عن فرحته وشماتته قائلًا: «عبوة مباركة تمزق جند فرعون.. (نفق) في التفجير ضابطان وجنديان.. وبهذا يعلم الجيش العلماني أن حربه على الدولة الدينية وتطبيق الشريعة لإرضاء النصارى وأمريكا لن تكون مجانية.. وأن مظاهرة أمريكا والنصارى على المسلمين في مصر وغزة وليبيا لن تأتي بالعزة بل ستأتي بالمهالك».

وأعقبوا هذه التصريحات الحقيرة بأبيات شعر تقطر سمًّا وحقدًا:

«أي جمع سيهزم — أي ظلم سيقصم

أي نصر سيحسم — إذ يولوننا الدبر

مثل حمرٍ مستنفرة — حين فرّت من قسورة

يا ظلومًا ما أكفره — من لقاء الهزبر

فر أقبلوا كالجنادب — بين ماشٍ وراكب

وترى في السباسبِ — جيش فرعون قد ظهر

قصدوا سوء حظهم — حين جاءوا من ارضهم

ثم أمسوا بقضهم — كهشيمٍ لمحتظر».

الحمر هي الحمير وقسورة والهزبر من أسماء الأسد والجنادب هي الجراد والسباسب الأرض الجرداء.

إذا تجاهلنا قلة الأدب.. فإن ما لفت نظري في هذه الأبيات هو حين قالوا (جاءوا من أرضهم).. كأن ولاية سيناء التي يدعونها قد انفصلت عن مصر وجاء الجنود إليها من بلد آخر.. لذلك يجب أن ننتبه جميعًا أننا لسنا فقط في حرب على الإرهاب..ولكننا في حرب حقيقية تطمع في اقتطاع شبه جزيرة سيناء من مصر واحتلالها باسم الدولة الإسلامية.

ومهما قالوا أو فعلوا.. فشهداؤنا في قلوبنا في الدنيا وفي كنف ورعاية العليّ القدير في الآخرة.. وسيرى كفار بيت المقدس والدولة الإرهابية أي منقلب سينقلبون وسيعلمون وقتها من الأسود ومن هم الجراد والحمير.

■ ■ ■

كان محمود قد خطب منى ابنة خاله وكان يعد للزواج بعد عيد الفطر.. في إجازته الأخيرة أصر أن يحتفل بعيد ميلاد منى.. انقبض قلبها حين قال لها: «مش يمكن معملكيش عيد ميلاد تاني؟».. قرأت رسالة وضعتها منى على صفحته بعد شهور من استشهاده:

«وحشتني جدًا.. وكل لحظه بتعدي بتوحشني فيها أكتر وباتمنى من ربي إني أجيلك..

ما بقيتش باحب أتكلم غير عنك.. وباحب كل اللي يكلموني عنك.. اللي مصبرني على بعدك إنك في الجنة إن شاء الله.

باحبك يا بطل.. وباحب كل اللي يقول لي يا خطيبة البطل».

■ ■ ■

زفة يوم تخرجه.. زفة يوم زواجه.. وزفة يوم استشهاده

هكذا حياة الضابط..

أما دعواه فهي: اللهم أتم زفافنا مقبلين غير مدبرين وأنت راضٍ عنا..

بالنسبة لمحمود فقد كنت معه في زفة تخرجنا عام 2009.. أما يوم وداع محمود فقد شهدت زفتين.. كانتا زفة شهيد وزفة عريس.. صحبته الزغاريد منذ خروج النعش من مسجد الثورة حتى المقابر.. كانت والدته.. أم البطل.. تزغرد وتنثر الحلوى وقطع الشيكولاتة على النعش والمشيعين وكأنها تلقي بالبدرة في حفل زفافه. وعند المقابر قام زملاء السلاح بإطلاق 21 طلقة تحية للشهيد..وفي لحظة الدفن فوجئ الجميع بنزول المطر رغم سطوع الشمس وكوننا في شهر مايو.. ومع زخات المطر.. ارتفعت التكبيرات والزغاريد.. شعرت وقتها أن الله سبحانه وتعالى قد استجاب للدعاء وأتم زفافه مقبلًا غير مدبر وهو راضٍ عنه.

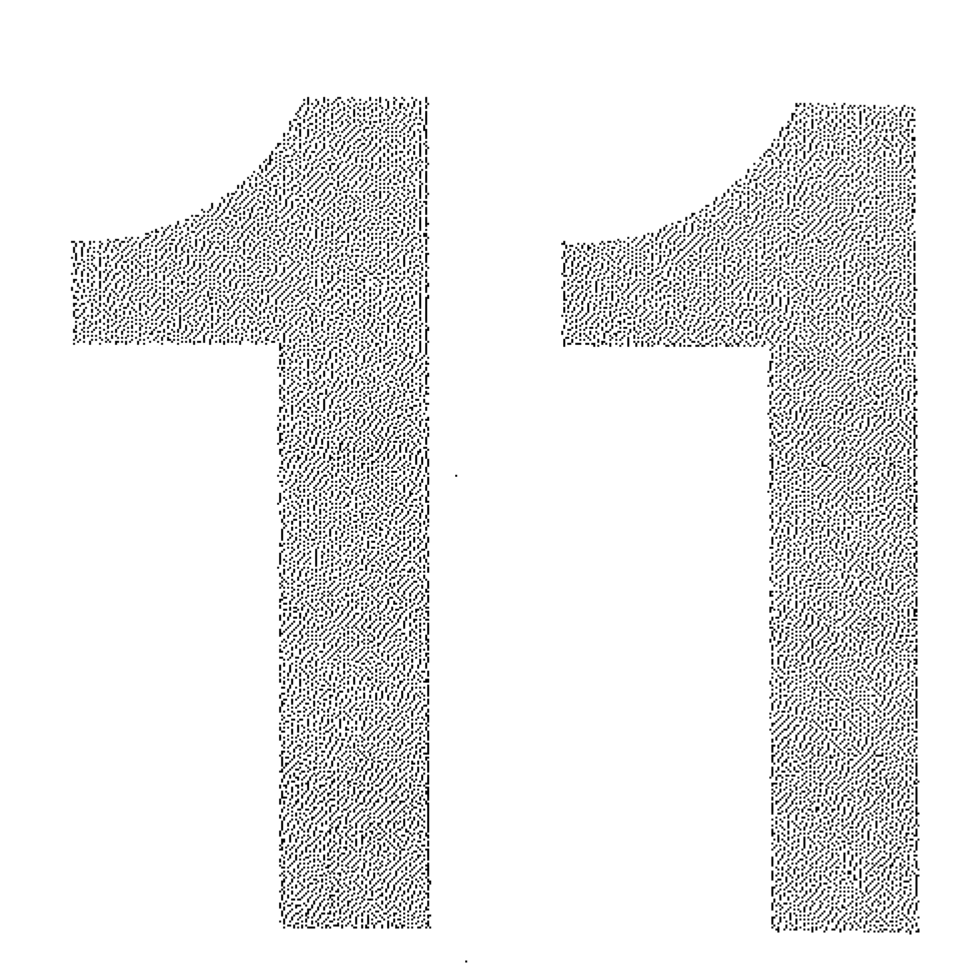
لقد تمنيت الشهادة كثيرًا.. ولكني لم أتمنها بقدر ما تمنيتها يوم جنازة محمود.

أحسست به يدعوني للحاق به..

وسمعت صوتًا عذبًا يرتل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٧١)﴾.

اللهم ألحقني به شهيدًا يا رب العالمين.

■ ■ ■





مصطفى حجاجي حلمي

ركبت قطار الثامنة والثلث من محطة الجيزة متوجهًا إلى إسنا لزيارة قبر الشهيد مصطفى حجاجي والقيام بواجب العزاء لأسرته.. قابلت مصطفى مرتين في شهر إبريل الماضي.. مرة في حفل تكريم شهداء دفعتنا في مقر الحرب الإلكترونية.. حيث قام السيد اللواء مدير الحرب الإلكترونية يرافقه السيد اللواء مدير الكلية الحربية بتكريم 11 شهيدًا من دفعة 103 حربية وأسرهم.. كان مصطفى يومها في قمة الحيوية والنشاط.. إذ كان مسئولًا عن جمع إيصالات تبرع زملاء الدفعة بالمبالغ التي أودعوها في حساب البنك الأهلي لصالح مشروع الصدقة الجارية على أرواح شهداء الدفعة والتي قررنا كلنا الاشتراك فيها.. وكان يعد مع زميلنا كريم إمبابي للاتفاق مع مستشفى 57357 لسرطان الأطفال لتنفيذها.

أمـا المرة الثانية فكانـت في حفل زفاف زميلنـا محمود كمال الذي حول حفل زفافه إلى مظاهرة حب ووفاء لزملاء دفعتنا الشهداء.. صمم محمـود لوحـة كبيـرة عليها صـور الشـهداء ووضعها في صـدر القاعة وأبكانـا جميعًـا عندمـا توجه بزيه العسـكري إلـى الصـورة ووقف في شموخ مؤديًا التحية العسكرية لقلوب الدفعة بل لقلوب مصر. اكتملت فرحتنـا بحضور سـيادة الفريق صدقـي صبحي وزير الدفـاع الذي قبل دعوة محمود له لحضور الحفل..فكان حضوره ومشـاركته معنا إعزازًا وتكريمًا لدفعة الشهداء.

■■■

أفقت من تأملاتي على مفتش القطار يطلب الاطلاع على تذكرتي.. أخرجتها ومعها كارنيه القوات المسلحة.. ارتسمت ابتسامة واسعة على وجه المفتش الجامـد فأنارته وقال لي: «مرحبًا بك يا حضرة الضابط.. القطار نوّر..» رددت تحيته شـاكرًا.. شـعرت بالامتنان وأنا أسمعه يردد بعدما غادرني: «ربنا يحميكم وينصركم على من يعاديكم ويعيدكم إلى أهلكم سالمين غانمين».. نظرت إلى الراكب بجواري.. كنت مستغرقًا فـي أفكـاري فلم أنتبـه إليه.. رجل أسـمر تكلل رأسـه هالة من الشـعر الأبيـض.. مد يـده بود وصافحني مبتسـمًا: «يـا أهلًا بأبطالنـا».. بادلته التحيـة وتعارفنـا.. الدكتور عبد المجيـد كوبان.. أسـتاذ تاريخ متقاعد في كلية الآداب جامعة القاهرة.. نوبي من أسـوان.. في طريقه لحضور حفل زفاف أحد أقاربه في قرية قورتة.. إحدى أكبر قرى النوبة.. عرفته بنفسـي ولمـا سـمع أنني أخدم في شـمال سـيناء قام من مقعده وانحنى

مقبلًا رأسي.. شعرت بالحرج الشديد فهو أكبر من والدي.. ربت على كتفي وقال: كيف تشعر بالحرج وأنت صاحب فضل؟ لولاك ولولا زملائك في جيشنا العظيم لكنا نعاني الأمرين مثل ليبيا وسوريا والعراق.. نحن ننعم بالأمن والأمان لأنكم موجودون».

مرت عربة البوفيه فطلب كوبين من الشاي.. رشف رشفتين من كوبه ثم سألني: «هل قابلت المشير طنطاوي من قبل؟».

قلت:" لم أقابله شخصيًّا.. ولكن رأيته في احتفالات الكلية الحربية عندما كنت طالبًا ومرتين أثناء عرض عسكري».

قال بفخر: «سيادة المشير بلدياتنا من النوبة.. من قبيلة الفدكة في قرية أبو سمبل مركز نصر النوبة في أسوان.. إنه فخر للنوبة كلها.. رجل عظيم مشهود له بنظافة اليد ودماثة الخلق وعدم استغلال منصبه." واعتدل الدكتور كوبان في مقعده وأضاف: «هل تعلم أن السيدة والدته بقيت في نفس المسكن الذي ولدت فيه المشير، في شارع عبد العزيز جاويش بحي عابدين لأكثر من سبعين عامًا حتى وفاتها وكانت تستخدم التاكسي في تنقلاتها؟».

قلت: «لم نسمع عنه غير كل خير وسمعته ناصعة البياض».

خفض الدكتور كوبان صوته وقال: «هل لاحظت أن الرئيس السيسي يدعوه كضيف شرف في كل الاحتفالات والمناسبات الهامة؟».

قلت: «هذا تصرف نبيل متوقع من الرئيس السيسي.. فهو يضرب مثلًا في وفاء التلميذ لأستاذه».

نظر إليّ مبتسمًا وقال: «الموضوع ليس مجرد وفاء ومجاملات.. الموضوع أكبر من ذلك.. هو تقدير واعتراف بفضل رجل عظيم أنقذ مصر ثلاث مرات من كوارث محققة».

تساءلت متعجبًا: «ثلاث مرات؟».

رد وقد بدا الحماس على وجهه: «وقف كالصخرة على مدى 14 عامًا حمى فيها الجيش المصري من محاولات الاختراق الأمريكية.. وأنقذ مصر من الفوضى خلال وعقب ثورة 25 يناير.. وأنقذها من الدمار والتقسيم بعد الانتخابات الرئاسية بين مرسي وشفيق».

سألته: «وكيف كان ذلك؟».

قال: «التاريخ سيكشف كل التفاصيل في الوقت المناسب..كل ما أستطيع قوله الآن أن هناك من يطعنون في وطنية المشير طنطاوي ويقولون إنه سلم البلد للإخوان بأوامر الأمريكان.. وهذا غير صحيح بالمرة.. سأستشهد فقط بما قالته المستشارة الجليلة تهاني الجبالي عندما سُئلت عن هذا الموضوع..فكان ردها: (المشير طنطاوي لم يسلم مصر للإخوان.. بل سلم الإخوان للشعب المصري). وهذا صحيح تمامًا.. هل تعرف بيت الشعر الذي قال فيه الأبنودي: «ومصر عارفة وشايفة وبتصبُر لكنّها ف خَطْفِةْ زمن تُعْبُر.. وتستردّ الإسم والعناوين». كأنه كان بيتكلم عن المشير طنطاوي.. كان صامتًا كأبي الهول.. ولكنه كان يتعامل مع الحاضر ويعد للمستقبل بدون أن يشعر به أحد.. فيما عدا مجموعة محدودة من أبناء مصر المخلصين.. كان السيسي من ضمنهم.. لقد وقف جيشنا العظيم ضد مؤامرات

عالمية بشعة مليئة بقصص الغدر والخيانة والحقد والنذالة والتآمر.. ولكن بلدنا محروسة بخير أجناد الأرض».

■■■

سألني الدكتور كوبان عن الغرض من رحلتي إلى الصعيد فأخبرته عن قصتي وعن مصطفى حجاجي الذي أنوي زيارة قبره.. حكيت له عن دفعة الشهداء والكتاب الذي أكتبه.. لما أخبرني أنه أيضًا كاتب وله عدة مؤلفات استأذنته أن يلقي نظرة على ما كتبته ليعطيني رأيًا متخصصًا.. وافق مرحبًا.. أخرجت كراستي التي أكتب فيها القصة وناولتها له.. ارتدى نظارته وبدأ في القراءة.. أخذت أتابع تعبيرات وجهه وهو يقرأ حتى غلبني النعاس فنمت.. أفقت والقطار يغادر سمالوط في طريقه إلى المنيا.. نظرت إلى الدكتور كوبان فوجدته قد انتهى من القراءة وخلع نظارته.. أخذ يمسح عينيه بمنديل.. نظر إليّ من خلف دموعه وقال لي: «الله يسامحك.. لم أبك هكذا منذ وفاة أمي».. شعرت بالحرج فربت على كتفي وقال: «الله يفتح عليك.. هذا العمل من أجمل وأصدق وأقوى الأعمال الأدبية التي قرأتها في حياتي.. سيكون كتابًا مميزًا».. شعرت بالسعادة لسماع هذا التعليق من شخص ذي خبرة عريضة مثله..

■■■

توقف القطار في المنيا..عروس الصعيد كما يسمونها.. نزل ركاب وصعد غيرهم.. ومر بعض باعة الصحف والتذكارات ملئوا القطار

الهادئ بالحياة.. بدأنا نتحرك بعد دقائق.. اقتسمنا سميطة بالسمسم اشتريتها من أحد الباعة وطلبنا فنجانين من القهوة أخذنا نحتسيهما بتلذذ.

أنهى الدكتور كوبان قهوته والتفت إليّ قائلًا: «قلت لك إن بلدنا محروسة بخير أجناد الأرض.. هل تعلم أن ذلك يحدث منذ أيام الفراعنة؟».

هززت رأسي سلبًا وأنا متشوق لسماع ما سيقوله..

نظر عبر النافذة وقال: لقد غادرنا المنيا وها نحن أولاء الآن قرب ملّوي.. بعد دقائق سنمر بدير مواس.. موقع تل العمارنة القديمة التي أسسها أخناتون فرعون التوحيد كعاصمة جديدة لمصر ونقطة انطلاق لنشر عبادة آتون الإله الواحد بعد أن غادر طيبة بمن فيها من كهنة آمون».

ابتسم الدكتور كوبان ابتسامة واسعة وقال: «أحيانًا يقولون إن التاريخ يكرر نفسه.. وسأترك لك الحكم لتعقد المقارنة بين الزمن الحالي وزمن حورمحب.. قائد الجيش في عهد أخناتون».

«لقد انشغل الملك أخناتون بفلسفته وإصلاحاته الدينية.. ومزق الشعب بين أنصار آتون وأتباع آمون.. وانصرف عن السياسة الخارجية وحماية الحدود وإدارة الإمبراطورية العظيمة التي سلمها له والده الملك العظيم أمنحتب الثالث الذي حافظ علي المجد الذي بناه سلفه العظيم تحتمس الثالث مؤسس أقدم إمبراطورية في التاريخ.. والتي امتدت لأقصى حدود لمصر في تاريخها: من نهر الفرات وسوريا شرقًا إلى ليبيا غربًا، ومن سواحل فينيقيا وقبرص شمالاً إلى منابع النيل حتى

الشلال الرابع جنوبًا. ولما كانت إدارة دولة ليست كإدارة معبد.. فقد أضعف مصر وأضاعها. ومع ضياع مصر ضاع آتون.. فانهارت الدولة وانهار الدين الجديد وسقط أخناتون.

جلس بعده على العرش ابنه الملك الطفل توت عنخ آتون.. الذي سرعان ما غير دينه واسمه تحت ضغوط كهنة آمون وسطوتهم ليصبح توت عنخ آمون..

وهنا بدأ دور حورمحب الذي عمل مخلصًا مع الملك توت عنخ آمون كقائد للجيش وسفير ومستشار ثم وزير له.. ثم أصدر الملك مرسومًا بتعيينه وليًا لعهده رغم أنه كان من عامة الشعب ولا تجري في عروقه أي دماء ملكية..

ومات الملك الشاب في ظروف غامضة وتسلم الوزير الأول آي الذي تزوج من أرملة الملك الحكم لفترة وجيزة استشرى فيها الفساد المستمر منذ عهد أخناتون، وتفاقم وقُنن برعاية الكهنة ورجال الدين.. فوصل حورمحب إلى الحكم بدعم من الشعب الذي عانى من الفوضى التي ضربت البلاد والظلم الذي ساد في أنحائها.. مع دعم من رجال الجيش الذين هالهم ما رأوا من هوان مصر على أعدائها.. وضياع إمبراطوريتها العظيمة».

سألني الدكتور كوبان: «هل تعلم أول ما فعله حورمحب؟».

هززت رأسي نافيًا..

«حورمحب كان أول حاكم علماني لمصر.. فصل الدين عن الدولة وألزم الكهنة معابدهم ومنعهم من التدخل في شئون الدولة.. ثم وضع أول دستور في تاريخ مصر تميز بطابعه المدني البعيد عن أي اعتبارات دينية.. وهو ما يسميه المؤرخون تشريعات حورمحب. واشتمل هذا الدستور على تسعة أبواب شرحت القوانين المتعلقة بالحياة العامة وتنظيم المجتمع سواء في علاقة الفرد بالحكومة أو في علاقة المواطنين بعضهم ببعض.. وفرض عقوبات على من يخالف هذه القوانين. وحدد واجبات الشرطة وكيفية تعامل أعضائها مع الشعب وسنّ قانونًا لعقاب رجل الشرطة بـ 100 جلدة إذا ظلم أحدًا أو سرق أحدًا.. حتى رجال الجيش الذين أتى من بينهم..ساوى بينهم وبين غيرهم في الردع والعقاب وقام بإعفاء الفقراء من الضرائب وعيّن القضاة وأوصاهم بالعدل وساوى بين الجميع أمام القانون، ووضع قوانين صارمة ضد الرشوة.. كما نظم حقوق العمال ومنع استخدام العنف والعبودية وقام بترسيخ مبدأ الحريات والحقوق العامة. وتوفي حورمحب وقد أصلح مصر بعد طول فساد ودمار كما وضع أساسًا قويًا لإعادة بناء الدولة وازدهارها سار عليه ولي عهده الذي كان رئيسًا لجيشه وتولى الحكم باسم رمسيس الأول، مؤسس الأسرة التاسعة عشرة وعصر الرعامسة المجيد.. وتبعه ابنه سيتي الأول وحفيده رمسيس الثاني اللذين أعادا المجد المفقود لإمبراطورية سلفهما العظيم تحتمس الثالث».

تابعته باهتمام.. فعلًا التاريخ يعيد نفسه..وكما فشلت الدولة الدينية في عهد أخناتون فشلت في عهد مرسي..وكما التف الشعب والجيش

حول حور محب لينقذ مصر التفوا بعد 3300 سنة حول السيسي لينقذ مصر.. تحيا مصر ويحيا جيشها العظيم على مر العصور..

قال الدكتور كوبان: «أقول لطلابي في المحاضرات.. لو اهتم الناس بقراءة التاريخ لوفروا الكثير من وقتهم وطاقتهم..بدلًا من إضاعتهما في تكرار تجارب فاشلة»..

ضحكنا معًا بصوت عالٍ حتى لفتنا أنظار باقي الركاب..

■ ■ ■

توقف القطار في أسيوط..ودبت الحياة في العربة مع صعود ونزول الركاب.. قال لي الدكتور كوبان: «على بعد ثلاثة كيلومترات من أسيوط تقع قرية بني مر.. مسقط رأس الزعيم جمال عبد الناصر ويحضرني هنا مثال جيد لنقطة تعرضت لها عدة مرات في كتابك عن شهداء دفعتك..وهي اتهام الإرهابيين لكم بالكفر».

رددت آسفًا: «نعم.. فهم يسموننا الجيش المرتد وجند فرعون.. ويقولون عن شهدائنا نفقوا أو فطسوا.. ويعتبرون الرئيس السيسي عدوًّا للإسلام».

«كما هو معروف للجميع.. يتعمد الإخوان الطعن في تدين الرئيس جمال عبدالناصر وذلك انتقامًا منه لإلقائه قياداتهم في السجون.. ويتهمونه بالكفر والإلحاد ومعاداة الدين، وهذا نهجهم مع كل من يختلف معهم سياسيًّا ويقف في طريق مؤامراتهم للسيطرة على الحكم وتعطشهم للسلطة».

رددت: «وهل لديك دفاع أو رد على هذه الاتهامات؟».

«على المستوى الشخصي سأقتبس ما قاله الدكتور عبدالعزيز كامل الذي كان وزيرًا للأوقاف وكان عضوًا في التنظيم الخاص بجماعة الإخوان عن عبد الناصر في مذكراته.. قال عنه: «لم يكن جمال عبدالناصر معاديًا للدين، ولم يكن ملحدًا، بل كان أقرب حكام مصر فهمًا لروح الدين ودوره في حياة الشعوب، وأهمية إضفاء المضمون الاجتماعي في العدالة والمساواة عليه.. كان عبدالناصر مسلمًا، شديد التدين في حياته الخاصة وفي تصرفاته العامة، بل إن الدين أحد المقومات الشخصية الأساسية في شخصيته، فقد كان رحمه الله متخففًا في طعامه، وطاهرًا في شرابه وبيته، محافظًا على عبادته».

واصل الدكتور كوبان حديثه: «أما عن الادعاء زورًا وبهتانًا بعداوته للإسلام.. فإننا لو تحرينا العدل في الحكم على ما قدمه جمال عبدالناصر للإسلام.. سنجد أنه أعظم حاكم عربي ومسلم خدم الإسلام. هل تعلم أن في عهده تم زيادة عدد المساجد في مصر من أحد عشر ألف مسجد قبل الثورة إلى واحد وعشرين ألف مسجد عام 1970؟ أي أنه بنى خلال فترة حكمه عشرة آلاف مسجد.. وهو ما يعادل عدد المساجد التي بنيت في مصر منذ الفتح الإسلامي عام 640 حتى عهده.

في عهده تمت ترجمة القرآن الكريم إلى كل لغات العالم.. وتم إنشاء إذاعة القرآن الكريم التي تذيع القرآن على مدار اليوم وتبثه إلى جميع أنحاء العالم.. وهو أول حاكم مسلم في التاريخ يتم في عهده جمع القرآن الكريم كاملًا مسموعًا.. مرتلًا ومجودًا على أسطوانات

وشرائط تـم توزيعها مجانًا على كـل إذاعات العالم. كمـا تمت طباعة كـل كتـب التراث الإسـلامى فـي مطابع الدولـة طبعات شـعبية لتكون فـي متناول الجميع... كما تم وضع موسـوعة جمـال عبد الناصر للفقه الإسلامى والتي ضمت كل العلوم الفقهية في عشرات المجلدات وتم توزيعها مجانًا في العالم كله.

عبـد الناصر هو مـن جعل مادة التربيـة الدينية مـادة إجبارية يتوقف عليهـا النجاح أو الرسـوب كباقي المواد لأول مـرة في تاريخ مصر بعد أن كانـت مـادة اختيارية لا يهتم بهـا الطلاب. وفي عهده تـم بناء آلاف المعاهـد الأزهريـة والدينيـة فـي مصر، ووصلـت الفتـاة لأول مرة إلى التعليـم الدينـي كما تم افتتاح معاهد أزهرية للفتيات.. كما شـهد عهده تطويـر الأزهـر الشـريف وتحويله لجامعـة عصرية تُدرس فيهـا العلوم الطبيعية المدنية بجانب العلوم الدينية. وأنشأ عبد الناصر مدينة البعوث الإسـلامية علـى مسـاحة ثلاثيـن فدانًا ليقيـم فيها عشـرات الآلاف من الطلاب المسـلمين من سبعين دولة إسلامية يتعلمون في الأزهر مجانًا ويقيمـون في مصر إقامة كاملة مجانًا.. وتم افتتاح فروع لجامعة الأزهر في العديد من الدول الإسـلامية.. كما أسس منظمة المؤتمر الإسلامي التي جمعت كل الشعوب الإسلامية.

وفي عهد الرئيس جمال عبد الناصر سـجلت بعثات نشـر الإسـلام في أفريقيا وآسـيا أعلى نسـب دخول في الدين الإسـلامي في التاريخ، حيـث بلـغ عدد الذين اختـاروا الإسـلام دينًا بفضل بعثـات الأزهر في عهد الرئيس جمال عبد الناصر 7 أشـخاص من كل 10 أشخاص وهي

نسب غير مسبوقة وغير ملحوقة في التاريخ حسب إحصائيات مجلس الكنائس العالمي.

تنهد الدكتور كوبان وقال لي: «هذا هو جمال عبد الناصر عدو الإسلام كما يطلقون عليه».

عجبت من هذه المعلومات التي كانت جديدة عليّ تمامًا وسألته: «لماذا إذًا لا يعلم أغلب الشعب خاصةً الشباب هذه المعلومات.. ونترك لهم الساحة للافتراء والكذب على الرجل؟».

ضحك د. كوبان وقال: «الافتراء والكذب في دمهم. خاصةً إذا أرادوا تشويه صورة شخص يعلمون جيدًا مدى تدينه وورعه.. ألم يقولوا إن والدة السيسي رحمها الله يهودية مغربية وإن خاله عضو في الكنيست الإسرائيلي؟».. وواصل حديثه قائلًا: «الجيل الذي عاصر عبد الناصر يعرف هذه المعلومات.. أما الأجيال اللاحقة فلا تعرف لأن هناك من يهمه إخفاؤها أو تناسيها كالإخوان والسلفيين الذين يدّعون أن الإسلام دخل مصر على أيديهم.. أو أعداء الناصرية أو أصحاب الأجندات السياسية. أنا رجل أدرّس التاريخ.. ولذلك يجب عليّ تحري الصدق دائمًا.. من يحرّف التاريخ سيأتي عليه يوم وينكشف.. وأمانة الكلمة فرض يتناساه تجار الدين».

سألته: هل أنت ناصري يا دكتور عبد المجيد؟

رد عليّ ضاحكًا: «لن تجد الكثير من أهل النوبة ناصريين.. وهذا بالطبع شعور عاطفي لأننا نظرنا إلى السد العالي وبحيرة ناصر وتهجيرنا من قرانا كأكبر كارثة حلت بنا في تاريخنا الطويل».. اكتسى وجهه

بالجد وقال: «ولكن لندع العواطف جانبًا.. فمن لم يعرف قيمة السد العالي وقت بنائه عرفها عندما ضرب الجفاف شرق القارة الأفريقية عام 1992 ومات مئات الآلاف جوعًا وعطشًا..وتكررت المأساة عام 2011 ليموت ربع مليون في إثيوبيا وكينيا وأوغندا والسودان والصومال. في هذه السنوات العجاف لولا مخزون بحيرة ناصر من المياة للقي المصريون نفس المصير».

أما عن سؤالك عن كوني ناصريًّا أم لا.. فأنا كأستاذ تاريخ ألتزم بالحقائق..ولا أنظر لأي زعيم بنظرة شمولية لأقيمه كأبيض أو أسود. عندما دافعت عن تدين عبد الناصر أو دوره في خدمة الإسلام تحريت الصدق والأمانة العلمية في سرد المعلومات التاريخية..وسنة الله هي أن يؤتى كل ذي فضل فضله.. فلا أستطيع أن أبخسه حقه. ولم يتوقف عبد الناصر عند خدمة الإسلام.. فبالنسبة للمسيحية يجب ألا ننسى علاقته الحميمة بالبابا كيرلس السادس الذي عندما طلب منه مساعدته فى بناء كاتدرائية جديدة تليق بمصر..واشتكى له من نقص التمويل.. قرر الرئيس عبد الناصر على الفور أن تسهم الدولة بمبلغ 167 ألف جنيه في بناء الكاتدرائية الجديدة وأن تقوم شركات المقاولات العامة التابعة للقطاع العام بأعمال البناء على نفقة الدولة.. كما أمر ببناء خمسة وعشرين كنيسة جديدة في مصر سنويًّا وأن يكون التصريح بها بتوجيه من البابا نفسه إلى الجهات الرسمية. كما كان له دور في توحيد الكنيستين المصرية والإثيوبية تحت قيادة البابا كيرلس.

إذا نظرت إلى هذا الدور الديني وإرساء أسس العدالة الاجتماعية وترسيخ القومية العربية و إنشاء مصانع عملاقة للصناعات الثقيلة فأنا أتفق مع عبد الناصر وأحبه.. ولكن إذا نظرت إلى تدمير القطاع الخاص والتهور السياسي وزوار الفجر فإني أختلف معه.. نفس الشيء مع السادات.. فلا أستطيع إنكار دوره في إعادة بناء الجيش وحرب أكتوبر وتحرير سيناء.. لكني لن أسامحه على إعادة الإخوان المسلمين للساحة وفتح الباب للإسلام السياسي والانفتاح الاستهلاكي والتطبيع مع إسرائيل.. وكذلك مبارك.. كان له دوره في حرب أكتوبر وكان وطنيًّا واستكمل استرداد سيناء وأنشأ بنية تحتية ضخمة..ولكنه أفسد التعليم والحياة السياسية وسمح ببيع القطاع العام بأبخس الأسعار لرجال أعمال فاسدين وفرض ابنه على الحكم من خلال لجنة السياسات.. وهكذا. فيجب أن نتوقف عن تلوين الناس بالأبيض والأسود لنتعلم من محاسنهم ونتجنب عيوبهم».

ضحكت وذكّرته: «لم تذكر مرسي».

نظر إليّ معاتبًا وقال: «أعوذ بالله.. مرسي كان رئيسًا يتبع أجندة خارجية ليس فيها شيء يصب في مصلحة مصر.. فهو خارج السياق».

■ ■ ■

استغرق الدكتور كوبان في النوم بينما شردت متأملًا الحقول المترامية والفلاحين وهم يعملون بجد تحت حرارة شمس الصعيد الحارقة.. رنّت في أذني كلمات مصطفى حجاجي وهو ينصح جنوده بلهجته الصعيدية المحببة قائلًا لهم:

«اوعـى تخـاف من الموت يا ابنـي إنت وهو.. وتخاف ليه أساسًـا؟ ده ربنـا قال: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾.. و﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾.. وكمـان قـال: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾. وأبـوك وأبويـا علمونا فـي الفلاحين إن (اللـي مكتوب علي الجبين لازم تشوفه العين).. توكلنا على الله».

وأخذت الذكريات تتوالى..

تذكـرت قبيـل تخرجنا ونحن فـي انتظار النتيجـة النهائيـة.. كنا في حديقـة الكليـة أنا ومصطفـى وزميلنا أحمـد بيومي..قال لنـا مصطفى: «ادعوا لي يا حسـام ويا بيومي..عاوز أشـرف أمي وأسـلم على الريس عشان أرد لها تعبها بعد ما أبويا مات». وتظهر النتيجة ويحصل مصطفى علـى ترتيب الأول على الدفعة.. ويوم الحفـل ينادى على أول الدفعة: مـلازم تحـت الاختبـار/ مصطفـى حجاجى حلمـي محمـد.. ويتقدم مصطفى لتسلم شهادته.. ويصافحه الرئيس حسني مبارك ومعه الرئيس السـوداني عمر البشـير. ويحقق اللـه له حلمه.. كان حفـل التخرج يوم 18/ 7/ 2009.. يـوم زفته الأولى.. ويشـاء الله أن تكـون زفته الثانية إلى السماء في نفس التاريخ بعد 6 سنوات تمامًا يوم 18/ 7/ 2015.

■ ■ ■

استيقظ الدكتور كوبان من غفوته ونظر من النافذة.. كان القطار يمر بقريـة المراغة بمحافظة سـوهاج.. قـال لي: «المراغة هي بلدة الشـيخ مصطفى المراغي.. شـيخ الأزهر ومطوره..والذي حوّله من جامع إلى

جامعة.. كان رحمه الله شيخًا إصلاحيًا وكان للأزهر في عهده وزن كبير ودور سياسي لا يستهان به.. مما أثار حفيظة الملك فؤاد ومن خلفه الإنجليز. كان قد رفع مذكرة للقصر تشرح خطته لتطوير وإصلاح الأزهر.. ولكن الملك فؤاد رفضها.. فرد عليه برفضه الاستمرار في منصبه واستقالته من مشيخة الأزهر..

فحاول رئيس الوزراء عدلي يكن باشا إثناءه عن الاستقالة بلا نتيجة.. فطلب منه رئيس الديوان الملكي توفيق نسيم باشا الحضور إلى مكتبه في السراي لمناقشة الاستقالة.. فقال له: إذا أردت مقابلتي فاحضر إلى منزلي.. فاستغرب توفيق نسيم وقال له: لكني أمثل الملك.. فكان رده عليه: وأنا خادم الله.. وخادم الله أقوى من ممثل الملك.

وعين الملك الشيخ الظواهري الذي كان مقربًا منه خلفًا للمراغي..

فانتفض شباب علماء الأزهر مطالبين بتنحية الشيخ الظواهري.. رافعين شعار (إما تحت راية المراغي.. وإما إلى القرى تاركين الأزهر للبوم والغربان) وعمّت الإضرابات حتى عُلّقت الدراسة في الأزهر وترك الأزهر الكثير من العلماء.. وفي النهاية استجاب الإنجليز والملك لضغط شباب الأزهر وتمت تنحية الشيخ الظواهري وعاد الشيخ المراغي مكرمًا إلى منصبه.. مؤكدًا قاعدة ذهبية ليلتزم بها التاريخ.. وهي أن شيخ الأزهر ليس فوقه إلا الله».

وجّه الدكتور كوبان لي نظرةً حزينة وقال: «هكذا كانت قوة الأزهر وشيخ الأزهر.. للأسف لو كان الأزهر احتفظ بنفس هذه الروح وهذه الشجاعة.. لما تجرأ الإخوان والسلفيون على الاتجار بالدين والعبث

بمقدرات الشعب المصري.. ولما استفحل التطرف وتوحش الإرهاب وسالت كل هذه الدماء الزكية باسم الدين».

هززت رأسي آسفًا وعقبت: «معك كل الحق يا أستاذي».

أضاف الدكتور كوبان: «وكان هذا الشيخ المستنير..الذي قاد الأزهر في أواخر النصف الأول من القرن العشرين مع التطور الدائم للإسلام.. وكان يقول لمتنطعي السلفية: إن الجمود عند الموروث.. والاكتفاء به مصادم لما تقضي به طبيعة الكون وطبيعة كل حي من النمو والتوليد.. والتناسل الفكري كالتناسل النباتي والحيواني والإنساني.. كلاهما شأن لابد منه في الحياة..ولو وقف التناسل الفكري لفشل الإنسان في القيام بمهمة الخلافة الأرضية التي اختير لها ووكّلت إليه منذ القدم.. فالجمود جناية على الفطرة البشرية.. وسلب لميزة العقل التي امتاز بها الإنسان.. وإهدار لحجة الله على عباده.. وتمسك بما لا وزن له عند الله.. كان رحمه الله يقول لصائغي القوانين منذ أكثر من سبعين عامًا: ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان.. فالشريعة الإسلامية فيها من السماحة والتوسعة ما يجعلنا نجد في تفريعاتها وأحكامها كل ما يفيدنا وينفعنا في كل وقت».

قلت: «ما أحوجنا لهذه الروح الآن.. ليته جاء متأخرًا سبعين سنة».

قال: «كان سيضرب لنا أمثلةً كثيرة نحتاج إليها الآن.. هل تعلم أن الشيخ المراغي كان من أكبر المعجبين بالأديبة مي زيادة صاحبة أشهر صالون أدبي في الشرق.. وكان مواظبًا على حضور صالونها كل ثلاثاء من كل أسبوع.. لم يمنعه كونها امرأة أو كونها جميلة أو كونها

سافرة أو كونها مسيحية عن الاستمتاع بتنوع أفكارها وجمال لغتها. وكان موقفه أخلاقيًّا عظيمًا عندما دعمها ووقف بجوارها في محنتها عندما اتهمها أقرباؤها ظلمًا بالجنون وأودعوها بمشفى للأمراض النفسية في بيروت.. كان يتابع أخبارها ويرسل من يسأل عن أحوالها.. وعندما عادت إلى مصر كانت أول زيارة تقوم بها هي زيارته في مشيخة الأزهر.. وحضر الشيخ المراغي أول محاضرة ألقتها في الجامعة الأمريكية بعد عودتها إلى مصر وكتبت الصحف وقتها كيف دمعت عيناه وهو يستمع لسحر منطقها بعد طول غياب».

ضربت كفًّا على كف غير مصدق لما أسمعه.

تنهد الدكتور كوبان وقال: «هكذا كان كبار أئمة الإسلام منذ سبعين عامًا.أهل علم ودين وثقافة ورقي.. والله إنني لأبكي عندما أتذكر الشيخ المراغي وأنا أشاهد سفه سماسرة الفتاوى وركاكة أشباه العلماء على القنوات الفضائية هذه الأيام.. أبكي كمدًا على الإسلام وما أوصلوه إليه».

لفنا الصمت حتى توقف القطار بمحطة سوهاج.. بدأ الركاب في الصعود والنزول.. لفت نظرنا ملصقات ولافتات عديدة على جدران المحطة.. أخذت أقرأ المكتوب على اللافتات بصوت عال: (تنعي نقابة الأئمة والدعاة بسوهاج شهيد الدعاة الشيخ صلاح عبدالوهاب إمام وخطيب مسجد أبو بكر الصديق بالشيخ زايد الذي قتلته يد الغدر والإرهاب).. (لك الله يا شهيد الدعاة).. (القصاص لشهيد الدعاة والعلماء)..

سألت أحد باعة الجرائد الذين صعدوا للقطار عن الحادث.. أخبرنا أن الشيخ الشهيد قد عثر على جثته قتيلًا في سيارته بجوار مسجد أبو بكر الصديق.. وأضاف منفعلًا: «لقد نالته يد الغدر لأنه كان يحارب الإرهاب بفكره الوسطي بعيدًا عن التشدد والتطرف.. فلم يعجب كلامه المتطرفين وخشوا أن يسقط فكرهم المنحرف الذي يروجون له ضد المسلمين المعتدلين وضد الأقباط.. والدعوة لمهاجمة رجال الجيش والشرطة وتكفير الرئيس والحكومة.. لذلك قاموا بقتله ليسكتوه إلى الأبد».

تبادلت النظرات مع الدكتور كوبان الذي هز رأسه قائلًا: «لا حول ولا قوة إلا بالله.. لا يزال الطريق طويلًا ومفروشًا بالأشواك.. لك الله يا مصر».

■ ■ ■

قتلنا الساعات الباقية بتناول الغداء والنوم ومناقشة ما كتبته عن شهداء الدفعة بالتفصيل.. أفادتني ملاحظات الدكتور كوبان كثيرًا وقمت بتعديل بعض الفقرات في ضوئها.. هدّأ القطار من سرعته وهو يدخل إلى محطة الأقصر.. نظر الدكتور كوبان بحزن إلى المحطة الخاوية وقال: «هذه المدينة كانت مركز العالم في أوج عظمتها.. وتحتوي على ثلث آثار العالم..وبها مناظر بديعة للنيل العظيم.. نسبة إشغال فنادقها لا تتعدى العشرين بالمائة..وكله بسبب الإرهاب الذي لا يكتفي بقتل المواطنين وترويعهم.. بل يضيق عليهم في رزقهم.. حسبنا الله ونعم الوكيل».

اعتدل الدكتور كوبان في مقعده ونظر إليّ وعلى وجهه ابتسامة ساخرة وقال لي: هل تعلم أن الأقصر كانت هي المسمار الأخير في نعش الإخوان؟

سألته متعجبًا: «لا..كيف كان ذلك؟».

قال: «في حركة المحافظين الأخيرة قبيل دعوة الشعب المصري للخروج في 30 يونيو.. أكد الإخوان بجدارة غباءهم السياسي وغرورهم وكشفوا عن وجههم الإرهابي عندما قام مرسي بتعيين عادل الخياط محافظًا للأقصر.. وهوالإرهابي الذي كان أميرًا للجماعة الإسلامية في أسيوط وقت أن قامت هذه الجماعة الإرهابية بمذبحة الدير البحري في الأقصر عام 1997..والتي راح ضحيتها 53 سائحًا أجنبيًّا وعشرات الجرحى وضربت السياحة في مقتل وقتها. عادل الخياط كان قد اعتقل أيضًا على خلفية قضية اغتيال الرئيس السادات».

سألته: «وهل تسلم عمله بالأقصر؟».

قال: «لم يجرؤ على دخول مكتبه. فقد احتل أهالي الأقصر مبنى ديوان المحافظة ومنعوا دخوله.. وكانت فكرة مكافأة إرهابيٍ سابق أفرج عنه من السجن بعفو رئاسي ثم تكريمه بتعيينه محافظًا على مسرح جريمته فكرة حمقاء.. دفعت أهل الأقصر وباقي المحافظات للخروج بكثافة في مظاهرات 30 يونيو».

قطب الدكتور كوبان جبينه وقال: «للأسف السنة التي حكم فيها الإخوان حولوا مصر إلى دولة راعية للإرهاب..وكم الإرهابيين الذين أفرج عنهم من السجون والذين تم استقدامهم من خارج البلاد

وزرع كل هؤلاء في سـيناء مع الآلاف مـن أعضاء حماس الذين منحوا الجنسـية المصريـة.. هـؤلاء هم مـن تحاربونهم الآن.. هـؤلاء هم من قتلـوا أصدقاءك جمال وأبو غزالة ومحمد إمـام وأحمد فؤاد وغيرهـم.. هـل تتذكر احتفال أكتوبر الـذي لم يحضره قادة القوات المسـلحة ولا أسرة السادات و كان ضيف الشرف هو قاتل السادات؟ هل تذكر مؤتمر نصرة سـوريا الذي جمـع الإرهابيين من كل أقطاب الأرض في اسـتاد القاهرة الرياضي؟

سـكت الدكتـور كوبـان للحظـات وأخذ يلتقـط أنفاسـه الغاضبة.. وواصـل حديثـه قائـلًا: «أقـص عليـك هـذه القصـص وأذكـرك بهـذه المعلومـات لتعـرف ما الذي أوصلنا لمـا نحن فيه.. وتذكـر جيدًا قول أحـد قيادات الإخوان بأن الإرهاب في سـيناء سـيتوقف في نفس اليوم الذي سيعود فيه مرسي إلى الحكم».

شـعرت بالغضب الشـديد.. لن نتخلى عن هدفنا ومهمتنا السامية.. سنطهر سيناء ومصر كلها من الإرهاب ولو ضحينا بأرواحنا فداء ذلك».

نظر الدكتـور كوبان خارج النافذة وقال لي: «لقد غادرنا أرمنت منذ دقائق.. وأمامك حوالي ربع ساعة لتصل إلى إسنا»..

تبادلنـا أرقـام التليفونات و اتفقنـا على اللقاء في القاهـرة في أقرب فرصة.. جمعت أشـيائي والقطار يهدئ من سـرعته ليتوقف في إسـنا.. لمحت المهندس وائل حجاجي شـقيق مصطفـى الأكبر وقد وقـف في انتظاري على رصيف المحطة.

مددت يدي مصافحًا الدكتور عبد المجيد كوبان.. ضمني إلى صدره ودعا لي بالنصر والسلامة.

ونزلت إلى إسنا.. بلد مصطفى الحبيب.

■ ■ ■

استقبلني المهندس وائل بالأحضان.. يحمل وجهه نفس ابتسامة مصطفى النقية.. صحبني إلى سيارته لنتوجه إلى منزلهم بقرية الشغب.. أصرت والدة مصطفى أن أقضي الليلة في منزلهم ورفضت بشدة فكرة مبيتي بأحد فنادق الأقصر.. بل إنها أقسمت إنها لن تستقبلني إذا قمت بذلك.. أخبرني وائل في السيارة عن مدى سعادة والدته بزيارتي.. وأنها قد أعدت غرفة مصطفى رحمه الله لمبيتي.. كما أنها لم تغادر المطبخ طوال اليوم.. تعد الأصناف التي كان مصطفى يحبها.

قال لي وائل ونحن في الطريق: «أخبرني أصدقاء الشهيد مصطفى عند مواساتهم لي أن قيادات الجيش في سيناء عقب استشهاد المقدم أحمد الدرديري ابن مدينة إسنا، الذي استشهد في الهجمات الإرهابية التي استهدفت كمائن عدة بشمال سيناء في أول شهر يوليو كانت في حاجة إلى ضابط يحل محل الشهيد الدرديري بالكمين..فانتفض النقيب مصطفى من مكانه طالبًا من قيادته أن يتسلم مكان الشهيد الدرديري بالكمين.. قائلًا بصوت عالٍ أنا يا افندم هحل محل الشهيد الدرديري.. هو من إسنا وأنا ابن إسنا.. وأحق واحد بأخذ ثأر ابن بلدي. وبالفعل تسلم موقع عمله بالكمين حتى لحق بابن بلده في الشهادة ونالها.

وأضـاف وائـل: «إنني فخور حـق الفخـر بأخي الشـهيد.. وكذلك كـل فرد من أهالي إسـنا فقد أوصل مصطفى رسـالة إلـى كل مصري.. يخبرهم فيها أن أبناء إسنا حقًّا رجال».

سـألت وائل عن قصة المقدم أحمد الدرديري الذي سـبق مصطفى في الشهادة.. حكى لي وائل عن بطولته وقصة استشهاده المشرفة، فعند محاولة اقتحام الكمين المسئول عن تأمينه وجد أن الموقع تم حصاره بصـورة محكمـة.. اتخـذ قـراره بإعطـاء الجنود أوامـر بإخـلاء النقطة عـن طريق المركبـات إلى مكان آمن وقام بسـلاحه الشـخصي بتعطيل الإرهابيين وتشـتيتهم عن جنوده حتـى يطمئن أن الجنود تخطوا الخطر إلا أنه وجد فردًا من جنوده يصرخ قائلًا: «مش هسيبك يا افندم».. وظل البطلان يتعاملان مع العدو بالأسـلحة المتوفرة والشـخصية لتشـتيتهم عـن باقي القوة حتى اطمأنوا على بقية أفراد النقطة أنهم أصبحوا بمأمن ونالا هما الشهادة مدافعين عن موقعهما حتى آخر نفس.

تنهـد وائل وأضاف: «تحـدث مصطفى الله يرحمـه معي ومع أخي إسـلام قبل العيد وأخبرنا بأنه انتقل من منطقة شـرق القنطرة إلى الشيخ زويد بسـيناء.. وطالبنا بعدم إخبار الوالدة حتى لا تقلق.. يومها شـعرنا أنا وإسلام أن مصطفى سينال الشهادة».

وصلنـا إلى الشـغب ومررنا بشـوارع القريـة الضيقـة.. رأيت صور الشـهيد في أكثر من مكـان.. قال لي وائل بفخر: «ربنا يرحمه استشـهد فـي ثانـي أيام عيـد الفطـر فرغم الحزن كـان العيـد عيدين.. لم تشـهد الشـغب جنازة مثـل جنازته.. كانـت مظاهرة في حـب مصطفى وحب

مصر امتدت من مسجد عباد الصالحين حتى المدافن شارك فيها كل أهل القرية والقرى المجاورة.."

قلت بصوت غلبه التأثر: «الله يرحمه ويلحقنا به في الرفيق الأعلى»..

وصلنا إلى منزل مصطفى.. وما إن أغلقنا أبواب السيارة حتى انفتح باب البيت وخرج إسلام شقيق مصطفى الأصغر ليرحب بي.. بينما وقفت طنت بهية والدة مصطفى في عباءة بيضاء على مدخل البيت وقد فتحت ذراعيها وهي تقول «الحمد لله على السلامة يا ابني.. الحمد لله على السلامة يا ابني».. ألقيت بنفسي بين ذراعيها وقبلت رأسها ويديها كما كان يفعل مصطفى..أخذت بيدي ووجهها ينطق بالفرحة رغم دموعها السائلة وأخبرتني أن فرحتها اليوم برؤيتي مثل فرحتها برؤية مصطفى عندما كان يعود للبيت بعد إجازة طويلة..كم كان مصطفى شبيهًا بها.. نفس العينين ونفس الابتسامة. قادتني إلى غرفة مصطفى وأشعلت النور ونظرت للغرفة بحنان.. قالت لي جهزت لك غرفة مصطفى حتى تبيت فيها.. وتركتني لآخذ حمامًا وأغير ملابسي حتى تعد العشاء.

أخذت حمامًا منعشًا غسل عني إرهاق السفر.. وفتحت خزانة الملابس لأعلق ملابسي فرأيت بدل مصطفى العسكرية وقد عُلقت بعناية وأزرارها النحاسية تبرق كشموس صغيرة.. في طرف الدولاب وجدت جلبابًا سماوي اللون لمصطفى.. فكرت للحظة وقمت بارتدائه.. خرجت إلى الصالة لأجد وائل وإسلام جالسين في

انتظاري.. لمعت عيناهما شجنًا عندما رأياني في جلباب أخيهما.. كانت روائح الأطعمة الشهية تهف علينا من المطبخ..قال لي إسلام إن والدته قد طبخت اليوم جميع أصناف مصطفى المفضلة. أقبلت طنت بهية لتخبرنا أن العشاء جاهز.. وقفت مشدوهة للحظات عندما رأتني جالسًا وسط وائل وإسلام مرتديًا جلباب مصطفى.. أشرق وجهها بابتسامة عريضة وقالت: «يا حبيبي يا ابني.. ربنا يجبر بخاطرك ويكرم أصلك ويحميك لأمك يا ضنايا».

جمعتنا مائدة العشاء وأسرتني ذكرى الحبيب وكرم ضيافة أسرته والطعام الشهي.. كانت طنت بهية – كما قال لي إسلام لاحقًا – في أسعد لحظاتها منذ استشهاد مصطفى.. أصرت على أن أتذوق كل شيء.. وأطعمتني بيدها مرتين أو ثلاثًا.. قضينا فترة العشاء في سرد ذكرياتنا السعيدة..وقصصت عليهم بعض المواقف المضحكة التي تعرضنا لها سويًّا أيام الدراسة في الكلية الحربية.. ضحكت والدة مصطفى في سعادة عندما قلت لها إن مصطفى كنا نسميه فاكهة الدفعة بسبب طيب طباعه وحب الجميع له. أنهينا العشاء وجلسنا نشرب الشاي في الشرفة.. دخلت طنت بهية تحمل طبقًا من الكعك المرشوش بالسكر ووضعته أمامي.. اعتذرت فقد أكلت كثيرًا.. ارتسم على وجهها الحزن وقالت: «هذا كعك العيد يا حسام يا ابني.. أعددته ولم يذقه مصطفى.. كنت قد وضعت نصيبه جانبًا حتى يتذوقه عندما يحضر في الإجازة.. لكنه استشهد ثاني أيام العيد.. خذ ولو كعكة واحدة إكرامًا لمصطفى»..

أكلت كعكتين.

تركتنا والدة مصطفى تتحدث في الشرفة وذهبت لرفع الطعام عن المائدة وعادت بعد نحو نصف ساعة وجلست إلى جواري وناولتني ورقة مطوية طلبت مني أن أقرأها. فردت الورقة فعرفت خط مصطفى في خطاب لأمه التي أخبرتني أنه كان يحمله في جيبه وقت استشهاده.. قرأت وقد صعدت الدموع إلى عينيّ:

«إذا وصلك هذا الخطاب يبقى أنا استشهدت.. فلا تبكي والبسي أبيض وافرحي يا أم الشهيد.. أبويا دخلني الكلية الحربية علشان أكون بطل.. وإحنا الموت لينا عادة والشهادة لينا كرامة»..

لم أتمالك نفسي من البكاء.. ولدهشتي وجدت أم مصطفى تواسيني وتشجعني وعلى وجهها ابتسامة عريضة.. ما تبكيش يا ولدي.. دول أحياء عند ربهم يرزقون.. على الأقل أنا مطمئنة عليه في حفظ الرءوف الرحيم.. والشهيد بيشفع لسبعين من أهله.. وسيشفع لنا جميعًا بإذن الله ونجتمع معه في الجنة.. فأنت في معزّة أخيه.. وأكيد سيشفع لك. جئت لأعزي أم الشهيد فإذا بها هي التي تعزيني..

توجهت للنوم في غرفة مصطفى.. أخذت أتأمل الصور المعلقة على جدران الغرفة.. صورته وهو يصافح الرئيس مبارك في حفل التخرج.. صورة الدفعة الجماعية في حفل التخرج.. أحدث صورة جمعتنا في حفل زفاف محمود كمال وقد التففنا حول العروسين والسيد وزير الدفاع.. وصور أخرى عديدة أثارت شجون الذكريات... على مكتبه كان جهاز الكومبيوتر الخاص به وإلى جواره شاهدت صورة للوحة التذكارية التي تحمل اسم الدفعة 103 على جدار إحدى قاعات العلاج

الكيماوي المجهزة بمستشفى 57357.. صدقة الشهداء الجارية التي اشتركنا جميعًا فيها. إلى جوارهما كان مصحفه الذي لم يكن يفارقه منذ أيام الكلية.. وعلى الجهة الأخرى من الكومبيوتر وجدت قلمه الذي أهديناه له في عيد ميلاده منذ سنوات وتحت القلم ورقة كتب فيها بخطه ثلاثة خواطر:

«فاكرك يا صاحبي»..

«ما نستحقش نعيش والشعب المصري خايف»

«الدم ده دمي

واللون ده من طيني

والحضن ده لأمي

والنيل دموع عيني»

تذكرت هذه الأغنية.. كان مصطفى يحبها وكانت دموعه تسيل عند سماعها.

أطفأت النور واستلقيت في فراش مصطفى مرتديًا جلبابه وقرأت له الفاتحة وسرعان ما استغرقت في النوم.

■ ■ ■

أخذت أرقى وسط سحاب أبيض كثيف وقد أمسك بيدي ملاك كريم.. انقشع السحاب شيئًا فشيئًا ووجدت نفسي أمام بوابة ذهبية أعجز عن وصف جمالها وبديع صنعها.. انفتحت البوابة على مصراعيها.. استقبلني أحد ملائكة الجنة على الباب قائلًا: السلام عليك بما صبرت فنعم عقبى الدار.. وردد آخر: سلام عليك طبت فادخلها خالدًا.

رأيت مصطفى حجاجي وبصحبته رجل وسيم الوجه مهيب الطلعة.. تقدم مصطفى وضحكته الصافية تملأ وجهه الذي يشع نورًا.. احتضنني مصطفى مرحبًا وأشار إلى الرجل الذي بصحبته.. هذا سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب.. أسد الله وأسد رسوله أتى ليكون في استقبالك والترحيب بك على باب الجنة.. كلنا نغبطك على هذا الشرف الذي اختصك به.. صافحني حمزة ثم ضمني إلى صدره وقال لي مرحبًا بك في دار الخلود في صحبة الأنبياء والصديقين والشهداء.. هنا تنعم ولا تبأس ولا تبلى ثيابك ولا يفنى شبابك ويحل عليك رضوان الله..

سرت مبهورًا بين سيد الشهداء ومصطفى حجاجي وأنا أرى وأسمع حولي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.. توقفنا على باب قصر بديع قال لي حمزة هذا منزلك..وها هما جاراك قد أتيا للسلام عليك.. أقبل علينا شابان كالبدر في السماء يشع النور من وجهيهما.. قال حمزة جاراك هما زينة شباب أهل الجنة.. الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب. رحب الحسن والحسين بي أحرّ ترحيب وحيياني بأجمل تحية..لم أصدق نفسي.. الحسن والحسين حفيدا الرسول جيراني؟

قال لي مصطفى: إنك لم تر شيئًا بعد..وبالمناسبة شهداء دفعة 103 سيصلون في أي لحظة للترحيب بك.. فقد اتفقنا على الاجتماع في منزلك وقد علموا جميعًا بوصولك..

استيقظت على صياح الديوك ترحب بالفجر الجديد.. كانت رؤيا تنبض بالحياة وكأني عشتها فعلًا.. شعرت بالفرحة والخوف.. هل هي بشرى؟ هل سألحق بهم؟ هل سيكون الحسن والحسين جيراني حقًّا؟.. تذكرت ولديّ التوءم حسن وحسين.. شعرت بشوق جارف لهما ورغبة شديدة أن أضمهما إلى صدري.. سيتمان السنة الخامسة من عمرهما في أول أكتوبر.. يجب أن أرتب موعد إجازتي لأحتفل معهما بعيد ميلادهما...

خرجت إلى الصالة لأجد الفطور معدًّا والجميع في انتظاري.. تناولنا إفطارًا شهيًّا وودعت طنت بهية ووعدتها بتكرار الزيارة.. ذهب وائل لقضاء بعض الأعمال على أن نلتقي في محطة القطار.

استقليت السيارة مع إسلام وبدأنا جولتنا بزيارة مدرسة وحدة الشغب الابتدائية والتي تغير اسمها إلى مدرسة الشهيد مصطفى حجاجي الابتدائية ثم توجهنا إلى المقابر.

وفي الطريق سألني إسلام عن سبب تعلق مصطفى الشديد بالجيش والحياة العسكرية.. إذ كان الجيش هو محور حياته واهتمامه ومادته المفضلة للحديث.. كان عندما يحضر في إجازة يعد الأيام الباقية حتى يعود إلى وحدته.. أخبرته باسمًا:

«الجيش المصرى له طعم مميز.. ثقافته.. قيمه.. أسلوب حياته.. قصص أبطاله.. هو رمز لمصر ولحب مصر.. أما عن مصطفى فقد بدأت قصة الحب الكبير بين مصطفى والجيش عندما سمع في صباه بقصة ابن قرية البغدادي بالأقصر، الجندي العظيم الذي أطلقت عليه الصحافة العالمية لقب أسد سيناء.. الشهيد سيد زكريا خليل.. والذي ظل الملهم الأول ومثل مصطفى حجاجي الأعلى حتى بعد تخرجه ضابطًا.

تساءل إسلام متعجبًا: «جندي مثل أعلى لضابط؟ هل تعرف قصته؟».

رددت ضاحكًا: «عرفت قصته من خلال الدراسة في الكلية.. ولكني أحفظها بالتفصيل عن ظهر قلب من كثرة ما حكاها أخوك أمامي.. كان فخورًا ببلدياته البطل الذي ظلت قصة بطولته مجهولة لمدة 23 عامًا حتى كشفها قاتله عام 1996».

التفت إسلام إليّ منصتًا بكل حواسه.. وبدأت أقص قصة البطل: «عرف العالم هذه القصة عندما شعر رجل الأعمال الإسرائيلي المقيم في ألمانيا بالذنب وتأنيب الضمير لما سمع أن مصر تحتفل كل عام بذكرى حرب أكتوبر وتقوم بتكريم أبطال هذه الحرب.. أحس أن بسببه قد حرم مقاتل عظيم وجندي باسل من التكريم الذي يستحقه. تذكر عندما كان مجندًا في الجيش الإسرائيلي.. وكيف أنه بعد أن قتل البطل سيد زكريا غدرًا بإفراغ دفعة رشاش في ظهره وقف أمام جثته وأدى له التحية العسكرية وقرر ألا يترك جثته في العراء فقام بدفنه ثم

رفع سـلاحه وقام بإطلاق 21 طلقة تحية للشهيد. ذهب رجل الأعمال لمقابلـة القنصل الإسـرائيلي في برلين وسـلمه خطابًا منـه فيه تفاصيل القصة.. كما سلمه محفظة الشهيد ومتعلقاته التي احتفظ بها معه طوال هذه المدة كتذكار لبطل قل أن تحظى الجيوش بمثله.

وفي حفل دبلوماسي قام السفير الإسرائيلي بإخبار السفيرة المصرية في ألمانيا بقصة الشـهيد وسـط جمـع كبير من السـفراء المعتمدين في ألمانيا ورجال الصحافة العالمية:

كُلّفت وحدة الصاعقة التي كان سيد زكريا جنديًّا فيها يوم الرابع من أكتوبـر 1973 بتنفيذ إغارة على رادار سـاحلي فـي منطقة رأس ملعب بجنـوب سـيناء وكمين في وادي غرنـدر ضد القوات الإسـرائيلية التي تحمـي الهدف. تم تدمير الرادار ونجح الكمين في تكبيد الإسـرائيليين خسائر جسيمة. كان سيد ضمن المجموعة الساترة المسئولة عن تأمين هجوم وانسحاب القوات المكلفة بتدمير الهدف.. والتي اتخذت موقعها في منطقة جبلية وعرة تشـرف على الموقع.. أثناء عملية الارتداد أرسل الإسـرائيليون فصيلـة مظـلات قوامها 100 جندي اشـتبكت في معركة شديدة مع سرية الصاعقة المصرية فكانت الغلبة للعدد واستشهد جميع أعضاء السرية المصرية..

أما المجموعة السـاترة فاشـتركت في القتال من موقعها على الجبل حتى استشـهد جميع أفرادها وأصيب اثنان بإصابات بالغة.. فبقي سـيد زكريـا وحـده في مواجهة من تبقـى من فصيلة المظلات الإسـرائيلية.. قام سـيد بجمع أسـلحة زملائه.. وبخفة الفهد وسـرعته أخذ يتنقل من

نقطة إلى أخرى على الجبل مهاجمًا الجنود الإسرائيليين بأسلحة مختلفة من جهات مختلفة فأوقف تقدمهم. وبقي سيد يحارب وحده ليلًا حتى ظن الإسرائيليون أنهم أمام كتيبة كاملة..أرسل قائد الفصيلة نداءات للاستسلام لكن سيد رفض التسليم ولم يرد عليه..وأسفرت بسالة سيد ولياقته البدنية العالية وشجاعته وسرعة انتقاله من مكان إلى آخر إلى إحداث خسائر كبيرة بين الجنود الإسرائيليين الذين بدءوا في التساقط واحدًا تلو الآخر حتى بلغ عدد من قتلهم سيد زكريا وحده 30 جنديًّا إسرائيليًّا. لما استمر الهجوم طوال الليل أمر القائد الإسرائيلي أحد جنوده بالالتفاف حول الجبل ومحاولة جمع معلومات عن الكتيبة المصرية وعدد أفرادها وتسليحها ليطلب المدد اللازم.

التف الجندي حول الجبل وفجأة وقف متسمرًا يتابع الجندي المصري الباسل وهو يقوم وحده بدور كتيبة كاملة.. كان سيد يولي ظهره للجندي الإسرائيلي فخشي أن يلتفت فيراه..فأفرغ فيه دفعة رشاش كاملة. وسقط البطل فتقدم منه الجندي الإسرائيلي بحذر حتى تأكد من موته.. شعر نحوه بتقدير واحترام بالغين فأدى له التحية العسكرية وفتش جيوبه وأخذ متعلقاته الشخصية كتذكار ثم دفنه وأطلق 21 طلقة تحية له». نظرت إلى إسلام فرأيت ابتسامته قد غطت على عينيه الدامعتين..وقال لي: «يا له من بطل.. له حق مصطفى أن يتخذه مثلًا أعلى.. خاصة أنه بلدياتنا من الأقصر. وماذا حدث بعد ذلك؟».

«تناقلت وكالات الأنباء العالمية القصة وأطلقت على سيد لقب أسد سيناء.. أما في مصر فقد أبلغت السفيرة السلطات المصرية بالقصة

فكرمته مصر وتم منحه نوط الشجاعة من الطبقة الأولى ووسام نجمة سيناء.. كما أطلق اسمه على أحد شوارع حي مصر الجديدة. وعرفت أسرته أنه استشهد بعد أن كان يعتبر مفقودًا حتى ذلك الحين. وتسلم محمود شقيق سيد رسالة شقيقه التي كتبها له منذ 23 عامًا».

وسأل إسلام بفضول: «وهل تذكر ماذا كتب في الرسالة؟».

ضحكت وقلت له: «ألم أقل لك إنني أحفظ القصة بكل تفاصيلها من كثرة ما سمعتها من أخيك؟.. كتب سيد في رسالته لشقيقه:

(إنني أكتب لك هذه الرسالة وأنا في ظروف غير عادية أما إذا أصبحت شهيدًا فلا تحزنوا عليّ أبدًا لأني سأكون في منزلة عند الله لا يصل إليها أحد إلا الأنبياء وقال الله في كتابه الكريم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ صدق الله العظيم، وهذا مرادي من الله عز وجل وهذا ما أتمناه طوال حياتي، ملحوظة: احتفظوا بهذه الرسالة ربما تكون الأخيرة مني لكم والله أعلم).

وتساءل إسلام: «وماذا عن المتعلقات التي سلمها الرجل الإسرائيلي للسفارة؟».

قلت: «لقد رأيتها بنفسي أنا ومصطفى..فهي معروضة الآن في ركن خاص بالقاعة المخصصة لسلاح الصاعقة بالدور الثاني بالمتحف الحربي بالقلعة حيث عُلقت لوحة نحاسية محفور عليها صورة الشهيد. وأسفلها طاولة عرض زجاجية بها متعلقات البطل وهى عبارة عن: محفظة جلدية سوداء مقلمة بخطوط بيضاء وبطاقة

عسكرية لتحقيق الشخصية، ومبلغ مالي عبارة عن ورقة فئة الجنيه وثلاث ورقات فئة العشرة قروش وعملة معدنية فئة العشرة مليمات.. وحوالة بريدية مرسلة لأهله بمبلغ 18 جنيهًا وخمسين مليمًا، وتلغرافًا به عنوان المرسل إليه الحوالة وكذلك خطابان أحدهما من أخيه الأكبر محمود الذي كان أيضًا مجندًا بالقوات المسلحة في تلك الفترة يخبره فيه بموعد إجازته الميدانية وتمنياته أن توافق فى جزء منها إجازة أخيه لكي يتقابلا خلالها أما الخطاب الآخر فهو الذي كتبه سيد ليرسله إلى أخيه محمود. كذلك هناك تصريح إجازة باسمه و تلغراف من وحدته تطالبه بقطع إجازته وتسليم نفسه لوحدته وذلك لظروف بدء مناورة الخريف."

قال إسلام بفخر: «سأحكي هذه القصة لكل معارفي.. يجب أن تعرفها محافظة الأقصر كلها.. بل مصر كلها».

■■■

وصلنا إلى المقابر التي كان يخيم عليها جو من الهدوء والسكينة.. سرنا صامتين ثم توقفنا أمام قبر مصطفى وألقيت عليه التحية..شعرت بحضور قوي وكأنه يبادلني السلام.. قرأت له الفاتحة في خشوع وأخذت أتذكر تفاصيل الرؤيا التي رأيتها وأنا نائم في فراشه.. اختفى الحزن من قلبي وحل بدلًا منه فرح شديد..وشوق شديد إلى لقاء قريب بإذن الله.

غادرنا المقابر ونظر إسلام في ساعته وقال: لدينا وقت لنمر على مركز الشباب.. فاليوم ختام فعاليات دورة شهيد الواجب الكروية..

تساءلت: وما هي هذه الدورة؟ أخبرني أنها دورة كروية بين أحد عشر فريقًا من مراكز الشباب المجاورة أقيمت تخليدًا لذكرى شهداء قرية الشغب التابعة لمركز إسنا وحملت الدورة أسماء شهداء القرية ضحايا الإرهاب من الجيش والداخلية وهم: الشهيد مصطفى وكل من الشهيد فراج الأقرع والشهيد سيد عبد الدايم من الداخلية..

وصلنا إلى مركز شباب الشغب خلال الشوط الثاني من المباراة بين فريقي مركز شباب نجع الضمان ومركز شباب نجع خميس. شاهدت لوحة كبيرة تحمل صور الشهداء الثلاثة.. أقبل السيد نوبي عبيد عمدة الشغب لتحيتي ومعه السيد شريف محمود مدير مركز شباب القرية.. أخبراني عن نيتهما في تكرار دورة شهيد الواجب كل سنة لتبقى ذكرى الشهداء ويُخلّد عطاؤهم في ذاكرة الشباب..

اقترب موعد قطار العودة إلى القاهرة فاستقلينا السيارة إلى المحطة.. ودعني وائل وإسلام بحرارة وشكراني.. ليس فقط على حضوري لتقديم العزاء.. ولكن كما قال وائل.. على جرعة الحب التي أعطيتها لوالدتهما التي رسمت البسمة على وجهها لأول مرة منذ رحيل مصطفى.

■ ■ ■

تحرك القطار شمالًا عبر حقول الصعيد الخصبة.. دخلت على صفحتي في الفيسبوك ووضعت على جداري صورتي في غرفة مصطفى مرتديًا جلبابه وخلفي صورنا المعلقة على حائط غرفتي.. كما وضعت صورتي مع شقيقه إسلام أمام المدرسة التي تحمل اسمه..

تحت الصور وضعت قصيدة الشـاعر أحمد فـؤاد نجم عن جيش مصر العظيم..ثم أخذت أقرؤها بصوت خفيض على إيقاع اهتزازات القطار الرتيبة:

«يا مصر جيشك م الصعيد

و م البحاروة ومن رشيد

شبان هلايلية وطيبين

فينا الحنيّن والعنيد

نعشق ولا عشق الحمام

للولف والعش السعيد

ونجود كما جاد الغمام

باللقمة والتوب الجديد

ندّي بمزاجنا كل شيء

لأي شيء ما دام نريد

لكن عدوك يا اسماعين

لو سخنت النار ع الحديد

والظلم خوم ع العباد

سوى من قريب أو بعيد

حلم الحليم يصبح جحيم

والدم يتسمم صديد

نرمي الغضب رمي الحطب
ع النار تقوم النار تقيد
واحنا الرجايل يا اسماعين
في الشدة والوقت الشديد
نصول نجول راكبين خيول
راكية السيول فوق الجليد
نكسح ضباب الليل يزول
ننطح جبال الخوف تميد
نطوي السراب طي الكتاب
ونقابل الصبح البعيد
نرجع نلاقي الدنيا نور
يا مصر والإنسان جديد
ننشي المداين والكفور
في جو نور وبكل إيد
ونجيب حليب العندليب
في المهد للطفل الوليد
ونشجر التين والزتون
ضليلة فوق راس الشهيد»

■ ■ ■

لـم أشـعر بالوقت فـي رحلـة العـودة إلـى القاهـرة إذ انكببت على الكتابـة.. سـجلت تفاصيل رحلتي إلـى الصعيد وحواري مـع الدكتور عبدالمجيد كوبان.. إذ وجدت ما تحدثنا فيه موافقًا تمامًا لسياق الكتاب إذ يوضـح الكثيـر مـن الخلفيـات لمـا نمر به مـن أحداث. كمـا دونت تفاصيل زيارتي للشـغب ولأسـرة مصطفى. بقي لي يومان من الإجازة أنوي أن أتفرغ فيهما لحسـن وحسـين..وأريد أن أصطحب علا لعشـاء هـادئ وحدنـا وأن أقضي بعـض الوقت مـع والديّ.. عـادت تفاصيل الرؤيا التي رأيتها في منامي في منزل مصطفى لتتجسـد أمام عينيّ.. هل هي بشرى أو إشارة؟ قررت ألا أذكرها ولا أتحدث عنها لأحد.

■■■





محمد مجدي رجب

«إلى محمد مجدي رجب من رشدي عبد العال.. سامحني يا ولدي أني لا أملك إلا دموعي ودعائي إلى الله أن ألقاك في الجنة.. وأنا الذي لم أرك من قبل.

ولكني أبكيك حلم بني وطني اغتالته يد أثيمة تحت راية ظاهرها رحمة وباطنها حقد دفين وشر عجز الشيطان أن يأتي بمثله.. فلا نامت أعين الجبناء».

كم أثّرت فيّ هذه العبارات الصادقة من مواطن مصري أصيل لا يعرف محمد مجدي.. ليس قريبه أو صديقه..ولكنه رأى فيه وفي شبابه السليب حلمًا من أحلام أبناء وطنه وقد اغتالته يد الإرهاب الآثمة.. فكانت هديته للشهيد كلمة من القلب ودمعة حارّة..ودعاء إلى رب العالمين.. كم هو جميل شعبنا العريق الذي يكشف عن معدنه الأصيل في كل المناسبات والظروف.

محمد مجدي نعاه أيضًا شهيدان من أصدقائه.. شهيدان نعيا شهيدًا وزفّاه إلى الجنة ليكون في انتظارهما على بابها..

نعاه محمد أبو غزالة فقال: «الله يرحمك ويكتبك من الشهداء من أحسن الناس أدبًا وأكثرهم خجلًا وأعفهم لسانًا.. كان آخر لقاء بيننا منذ شهرين. اللهم ألحقنا به على خير، وأحسن إليه واكتبه في الشهداء وأنزل برد السكينة على أهله». ويحقق الله لمحمد أبوغزالة أمنيته لتمر سبعة أيام ويلحق بصديقه ليستمتعا معًا بنعيم الله الدائم.

كذلك نعاه أحمد سلامة بكلمات بللتها الدموع قال فيها: «الله يرحمك يا أغلى الناس.. رجعنا مع بعض من الأجازة وكنا بننزل مع بعض ونيجي مع بعض وقضينا العيد مع بعض طبعًا في الشغل.. وسهرانين طول الليل في الدوريات وكنا مبسوطين.. ويعلم ربنا كنا زعلانين قد إيه إن إحنا ماكناش هننزل مع بعض المرة دي وقلنا هاتتعوض. ماكنتش اعرف إن إنت هاترجع شهيد. مش ها أنسى أول يوم ليا في رفح وإنك إنت اللي استقبلتني وأول مأمورية كانت معاك.. ومحدش ينسى إنت شوفت إيه هناك.. والتفجيرات اللي حصلت معاك وماكانش ده بيزيدك إلا إصرار.. فعلًا يا صاحبي ربنا بيختار شهداءه.. شرف كبير لا يناله إلا الأبطال».. وينال سلامة نفس الشرف ويلحق بحبيبه بعد سبعة شهور.

كان صديقي الحبيب محمد مجدي رجب قد استشهد يوم 18 أكتوبر 2014 عقب انهيار نفق بمنطقة حي البراهمة الحدودية برفح.. وذلك بعد ضبط النفق ومحاولة قوات حرس الحدود معاينته وتصويره

إلا أنه انهار فوقهم مما أسفر عن استشهاد محمد مجدي ومعه المجند محمد حمدي والعريف إسلام فتحي.

كعادتهم القبيحة.. وضع إرهابيو داعش صورة الشهيد محمد مجدي رحمه الله على صفحتهم مع هذا التعليق السافل: صورة الملازم أول الذي فطس أثناء هدمه الأنفاق لتجويع المسلمين..وتحت عنوان انهيار نفق على جند فرعون كتبوا:

«هلك ضابط في جيش فرعون واثنان من الأفراد العاملين في الجيش بدرجة عريف ومجند في انهيار نفق كانوا يحاولون تدميره لمنع الغذاء والدواء عن أهل فلسطين الصامدة فكان انتقام الله منهم أن انهار النفق عليهم وهم يهدمونه فماتوا وهم يعاونون اليهود علي المسلمين».. كأن هذه الأنفاق حفرت فقط لنقل الغذاء والدواء.. حقًّا ما أكذبهم وما أحقرهم !!

هذه المرة شعرت بالراحة لأنني موجود في سيناء.. فهذا الفصل من الكتاب هو أول فصل أكتبه فيها.. باقي الفصول كتبتها في القاهرة وعلى متن قطار الصعيد خلال إجازتي..وعندما كنت أقرأ هذه التصريحات والتعليقات المجرمة من كفار بيت المقدس وداعش.. كنت أشعر بالغيظ لكوني بعيدًا عنهم.. أما هنا فأنا جاهز في انتظار ظهورهم أو معرفة مكانهم لأحصدهم كالفئران.

■ ■ ■

قرأت خبرًا أسعدني بتاريخ 4 نوفمبر 2014..يقول الخبر:

«فـي لفتة طيبة من ضباط الفوج الأول حرس حدود بسـيناء.. قاموا بإعـادة افتتاح إحـدى المنشـآت الخاصة بالفـوج بعد ترميمهـا وإعادة تسـميتها باسـم الشـهيد النقيب محمد مجـدي على نفقتهـم الخاصة.. بحضور السيد قائد الفوج الأول حرس حدود»..

سـعدت برؤية صـورة كبيرة لمجدي على حائـط المبنى.. ما أجمل الوفاء بين أفراد قواتنا المسلحة العظيمة!

وعلى ذكر الوفاء.. أذكر موقفًا كريمًا لمحمد مجدي..

....

....

....

....

....

....

....

....

....

■ ■ ■

13

سيد شهداء الدفعة

كنا سوا ومال الهوى فرح وأغاني

ليل الهوى راح وانطوى ويّا الأماني

طلع الصباح مليان جراح والشوق ضناني

أيام ودادك قلبي ناداني وطاوعت قلبي

و ف ليل بعادك لقيت زماني قاسي وغدر بي

غني لي لحن الوفا لحن المحبة

وانعم بليل الصفا ويا الأحبّة

بعدك شغلني..قلبي سألني..على حبيبي

وبدمع غالي..أبكي الليالي..وأقول نصيبي

الحب عندي أمل أعيش على نوره

وان كان يطول الأجل أتهنى بعبيره

طبع الزمان غدر وأمان ونهار وليل

الحب كان له ناس وناس صفوه جميل

اسقيني واشرب معايا

نسيني لوعة قسايا

حبيبي حقق منايا

غني لي واشجيني...واملالي واسقيني

غني لي لحن الوفا غني لي واشجيني لحن المحبة

وانعم بليل الصفا واملالي واسقيني ويا الأحبة

غني لي و اشجيني واملالي واسقيني

واملالي واسقيني

استيقظت من نومي وقد بللت دموعي الوسادة..أثار هذا الحلم الذي رأيتني فيه مع حسام شجوني وأعادني إلى ذكريات دافئة ذهب صاحبها إلى الأبد.

أشعلت المصباح الجانبي.. كانت الساعة الثالثة صباحًا.. نظرت إلى ولديّ حسن وحسين بجواري فوجدتهما مستغرقين في نوم عميق.. أمسكت بكراسة حسام وفتحت صفحة جديدة وبدأت في الكتابة:

أنا علا.. زوجة النقيب حسام شرف الدين.. بل الشهيد حسام شرف الدين.. سيد شهداء الدفعة كما أطلق عليه زملاء دفعته 103 حربية.. تزوجنا أنا وحسام في عام 2009.. كنت وقتها قد بدأت عملي كمعيدة في كلية التربية الموسيقية بالزمالك وكان هو ملازمًا حديث التخرج.. جمعنا حب الموسيقى والغناء.. كان قد سجل لدورة تعليم عزف البيانو وكنت أنا مدرّسته.. بعد أربعة دروس طلب أن يقابل والدي ووافقت. عشنا حياة سعيدة ورزقنا الله بالتوءم حسن وحسين بعد أقل من عام من زواجنا.. كانت أسعد لحظاتنا عندما كنا نغني سويًّا.. وكنا نحب أداء دويتوهات شادية وعبد الحليم.. رأيته الليلة في المنام ونحن نغني لحن الوفاء.. أغنيتنا المفضلة..

ذهب حسام.. اغتالته يد داعش القذرة في تصعيد بشع لأساليبها الإرهابية.. استشهد حسام منذ أسبوع.. أي بعد أسبوع من عودته إلى سيناء عقب إجازته الأخيرة التي أمره الطبيب بالقيام بها للتعافي من الصدمة العصبية التي عانى منها بعد استشهاد صديقه المقرب مصطفى حجاجي.. كان استشهاد مصطفى القشة التي قصمت ظهر البعير..فقد كان الشهيد الخامس عشر من دفعته.. دفعة 103 حربية.

قضى حسام إجازته في تسجيل بطولات شهداء دفعته وجمعها في كتاب لتخليد ذكراهم.. وصلتني الكراسة التي كان يكتب فيها الكتاب مع باقي متعلقاته التي سلمها لي الجيش.. قرأت ما كتبه وبكيت كثيرًا.. ولكن ما قرأته من قصص البطولة والفداء والشجاعة والوفاء والصبر ساعدني على تمالك نفسي والتجلد.. كانت أهم أولوياتي هي إخراج

هذا الكتاب إلى النور..ولكن حسام لم يمهله القدر لإنهاء كتابة قصص جميع الشهداء.. كان آخر ما كتبه هو الفصل الخاص بالشهيد محمد مجدي رجب ولكنه لم يكمله.. مهمة مبتورة كحياة شهداء الدفعة.. كلهم تركوا خلفهم مهام كثيرة مبتورة لم تكتمل.. منهم من ترك خلفه جنينًا في بطن أمه.. أو طفلة رضيعة.. أو بيتًا لم يكتمل بناؤه.. أو بدلة زفاف لم يرتدها.

أتممت الفصل الخاص بمحمد مجدي بسطور من النقط.. ولم أتمكن من كتابة قصص باقي الشهداء عليهم رحمة الله جميعًا. وسأنهي الكتاب بقصة الكاتب.. حبيب عمري.. أبو حسن وحسين.. سيد شهداء الدفعة.

■■■

خرج حسام في دورية روتينية في سيارة مدرعة في منطقة وعرة بالقرب من رفح وكان معه ثلاثة جنود في سيارته، خالد وناجي وعبدالرحمن، كان خالد وعبد الرحمن جنديين مقاتلين أما ناجي فكان جنديًا مجندًا،أثناء مرورهم بمنطقة مليئة بأشجار النخيل سقطت عليهم قذيفة ألقتها مجموعة إرهابية، أصابت القذيفة مؤخرة السيارة و تناثرت شظاياها لتصيب عبد الرحمن في عنقه و تصيب حسام في فخذه.. في حين أصيب خالد في ظهره وناجي في كتفه اليمنى.. أصدر حسام أوامره بمطاردة سيارة الإرهابيين.. اتضح أنهما سيارتان وليست واحدة.. وجه خالد مدفع الآربي جي نحو إحدى السيارتين ففجرها.. وبدأ تبادل إطلاق النار مع السيارة التالية.. كانت إصابة كتف ناجي

سيئة فلم يستطع حمل السلاح.. وكان نزيف جرح رقبة عبد الرحمن غزيرًا فسقط بعد فترة وجيزة وأسلم الروح فبقى حسام وخالد اللذين واصلا الاشتباك رغم إصابتهما.. تعرض إطار السيارة الأمامي لسيل من الطلقات فتوقفت.. ولكن خالد عاجل سيارة الإرهابيين بقذيفة فجرتها في حين أصابته رصاصة في رأسه فسقط شهيدًا. ساد هدوء مريب ولم يبق سوى حسام وناجي الذي كانت ذراعه متدلية إلى جواره بسبب إصابة كتفه. نظر حسام حوله مستكشفًا الموقع ثم نزل من السيارة متحاملًا على ساقه المصابة وساعد ناجي على الخروج من السيارة.. كانت المنطقة مليئة بأشجار النخيل وقد تناثر حولها سعف النخيل الذي ربما تم قصه عند تلقيح النخيل في بداية الموسم.. شاهد حسام حفرة منخفضة بين ثلاث نخلات فأمر ناجي بالاستلقاء فيها على بطنه وأهال عليه حسام طبقة من التراب وغطاه بسعف النخيل وطلب منه أن يلزم الصمت حتى يصل الدعم من الكتيبة.. أما ما حدث بعد ذلك فسأكتبه نقلًا عما رواه الجندي ناجي فكري:

«ساعدني النقيب حسام على الخروج من السيارة وربط ذراعي ليقلل النزيف.. قال لي أن أتحرك بسرعة فالإرهابيون في الطريق إلينا.. قال لي غالبًا هناك مدخل نفق هناك.. وأشار جهة الشمال الشرقي.. كان مقاتلوهم يواصلون التدفق بعدما فجرنا السيارتين.. تذكر أن تخبر زملاءنا عندما تصل قوة الدعم فقد أرسلت استغاثة.. وضعني النقيب حسام في حفرة وأهال عليّ طبقة خفيفة من التراب وغطاني بسعف النخيل.. لم أكن أريد ذلك.. قلت له أريد أن أقاتل معك ونستشهد

سـويًّا.. ابتسم وقال لي: لن تستطيع حمل سلاحك مع هذه الإصابة في ذراعك.. فقط ابق هادئًا ويمكنك أن تواصل القتال وتأخذ بثأري عندما تشفى.. الزم الهدوء مهما حدث.. ولقد أخبرت قوة الإمداد بمكانك.

أخذت أراقبـه خلال الفجوات الضئيلة بيـن أوراق النخيل التي غطاني بها.. أخفى آثار أقدامنا وغطى قطرات الدم التي تسـاقطت منه بالتراب حتى لا يترك أثرًا يؤدي إليّ.. جمع الأسلحة التي كانت معنا إلى جواره واستتر بجسـم السيارة.. بدأت الطلقات تنهمر عليـه.. بادلهم إطلاق النار وأصاب بعضهم.. سـمعت صوتًا آتيًا من خلفي فكتمت أنفاسي.. كـان علـى مـا يبدو قائـد المجموعـة يتحدث عبـر جهاز لاسـلكي إلى رجاله: «لا أسـتطيع أن أعرف عددهم ولكني رأيت ضابطًا.. لا تضربوا الضابـط في مقتل أريده أسيرًا نفاوض عليه ونعمل به شـو إعلامي»..

تواصـل التراشـق بالنيران.. كنت أرى النقيب حسـام يقفـز على رجله السـليمة برشـاقة بالغة ويطلق النـار في جميع الاتجاهـات حتى نفدت ذخيرته.. رفع أحدهم رأسـه يطالبه بالاستسلام فعاجله بالطلقة الأخيرة من مسدسـه فأرداه قتيلًا. سـاد الهـدوء مرة أخرى، بـدأ الإرهابيون في التقـدم فـي دائرة تضيـق تدريجيًّا.. لمـح أحدهم النقيب حسـام فأطلق عليـه طلقـة أصابتـه في ذراعـه اليسـرى.. صـرخ قائدهـم: «قلت لكم أريـده حيًّا يا بهائم».. سـالت دموعي وأنا أراهم يطبقون عليه وأمسـك اثنان منهم به.. وقف النقيب حسـام شـامخًا بينهـم وأقبل قائدهم ونزع عن رأسـه قبعته العسـكرية وبصق على النسـر الذي يتصدرها ثم ألقاها علـى الأرض وداس عليها بقدمه قائلًا: «لعنكم الله يا جيش فرعون»..

رد النقيب حسام وهو ينحني بسرعة ويلتقط قبعته وينظفها بكم يده المصابة: «بل خير أجناد الأرض».. وقبّل النسر ودس القبعة في صدر سترته.

رد الإرهابي بغيظ: «لعلمك هذا حديث ضعيف الإسناد.. الشيخ القرضاوي أكد هذا ». قال له النقيب حسام: «موتوا بغيظكم»..

فرد: «سنرى من سيموت».

وأمر القائد مساعده بأن يأخذوا الأسير وينطلقوا.. كان النقيب حسام يقاوم للبقاء واقفًا فقد نزف كثيرًا وبدا عليه الإجهاد..نظر المساعد إليه وفحص جروحه وقال للقائد.. إصابته بليغة وقد نزف كثيرًا.. لا أظن أنه سيتحمل الرحلة عبر الأنفاق وسيموت في الطريق.. أرى أن نتخلص منه هنا.. قال القائد: «خسارة.. كنت أريد أن أفاوض عليه.. ولكن لا يهم.. سأجعله عبرة لمن لا يعتبر».. وصفق بيديه وقال: «تصوير».. تقدم أحد الموجودين ومعه كاميرا تصوير فيديو وبحث عن بقعة واسعة تقدم إليها وأخذ يختبر المكان لاختيار الزاوية المناسبة للتصوير. تقدم أحد المجرمين وربط يدي النقيب حسام وراء ظهره واقتاده إلى حيث وقف المصور.. أخذت أتابع ما يحدث وقد تمكن مني الرعب وأنا أرى الجنود يخرجون أقنعة سوداء ويرتدونها ثم اصطفوا خلف النقيب حسام رافعين أسلحتهم وأخرج أحدهم علم داعش المشئوم وفرده بين ذراعيه المرفوعتين.. تقدم قائدهم وقد ارتدى قناعًا أسود على وجهه ووقف خلف النقيب حسام وضغط على كتفه المصابة مجبرًا إياه على الركوع على ركبتيه.. لم أصدق عينيّ وأخذت أتوسل بالسيدة العذراء..

ارحمه يا رب. وبدأ المصور في التصوير بينما بدأ قائد الإرهابيين في إلقاء كلمة قال فيها:

«أكرمنا الله اليوم باصطياد أحد ضباط جيش فرعون المرتد.. هذا الجيش الموالي للنصارى واليهود والذي يسفك الدماء لمنع إقامة الشريعة وإقامة دولة الخلافة.. ويشن حرب عقيدة يبغي من خلالها السيطرة على خيرات وموارد مصر.. وينكل بالمسلمين ويحارب في سبيل تدشين الحكم العلماني المعادي للشرع.. ولكننا واثقون من النصر.. وأن الدولة الإسلامية في مصر وليبيا التي بدأت بشائرها في ولاية سيناء قادمة لا ريب فيها.. ونريد أن نحذر جند فرعون.. كل من سيقف في طريقنا سيكون مصيره مثل هذا الضابط المرتد».. قال هذا وسحب من حزامه سكين قتال رفعه عاليًا فلمع في ضوء الشمس بينما ارتفعت أصوات الجنود بالتكبير. أدميت شفتيّ وأنا أحاول منع نفسي من الصراخ وأخذت أتوسل لله: «من الأعماق صرخت إليك يا رب».. «بصوتي إلى الرب صرخت، بصوتي إلى الرب تضرعت، أسكب أمامه توسلي».. «دعوت من ضيقي الرب فاستجابني. صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتي».. أنقذه يا رب.. نظرت بين دموعي إلى وجه النقيب حسام.. رأيت فيه الإيمان و الشجاعة والشموخ.. وبصوت ثابت واضح النبرات ردد النقيب حسام: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

لطمه الإرهابي على رأسه قائلًا: «اخرس.. كيف تجرؤ على نطق شهادة المسلمين يا كافر؟»..

تجاهلـه النقيب حسـام وكرر ترديد الشـهادتين فقبض المجرم على جبهته وأزاح رأسـه إلـى الخلف وهوى بالسـكين على عنقـه وذبحه.. دفنت وجهي في التراب وصرخت صرخة مزقت روحي.. غطت عليها تكبيرات وتهليلات الجنود.. وغبت عن الوعي».

■■■

بعـد سـاعات كـان فيديو ذبـح زوجي الحبيب منشـورًا علـى موقع الجماعة الإرهابية وتتناقله مواقع وكالات الأنباء والتواصل الاجتماعي.

■■■

أصررت على اصطحاب حسن وحسين معي لاستقبال جثمان حسام في مطار ألماظة العسـكري وحضور الجنازة العسـكرية التي ستقام له. كان شـعورًا غريبًا وكأنني أشاهد كابوسًا فظيعًا بالتصوير البطيء.. أتألم داخله وفي نفس الوقت أراقب ألمي ومعاناتي من خارجه.. أتذكر لقطات ضبابيـة غير مترابطة.. حرس الشـرف وقد اصطفوا حامليـن بنادقهم.. وصول الرئيس السيسـي ووزير الدفاع والعشرات من كبار قادة القوات المسـلحة.. الكثير مـن الصحفيين والمصورين يحيطون بي.. شـقيقي معتـز وقد احتدّ عليهم طالبًا منهم احتـرام أحزاني وخصوصيتي.. والد حسـام وقد وقف صامتًا مهمومًا كأنه يحمـل جبلًا على كتفيه.. والدي الـذي لم أره يبكي في حياتي وجسـمه كله يهتز بالبكـاء كطفل صغير.. هبوط الطائرة العسـكرية التـي تحمل الجثمان الغالـي الذي خرج منها في نعش مغطى بعلم مصر.. فرقة الموسـيقى العسـكرية تتقدم الجنازة

عازفةً المارش الجنائزي الكئيب.. كل نوتة موسيقية فيه كأنها خنجر يغرس في قلبي.. والد حسام وشقيقه سائران خلف النعش بين الرئيس ووزير الدفاع.. زملاء دفعة 103 ساروا حاملين لوحة عليها صورة حسام وقد كتبوا عليها: وداعًا يا سيد شهداء الدفعة وانخرطوا جميعهم في البكاء.. حسين يسألني هل بابا موجود تحت العلم؟ فأومأت له إيجابًا فأخبر أخاه.. حرس الشرف يؤدي تحية الشهيد ويطلق 21 طلقة تكريمًا له.. أشعر بكفي حسن وحسين وقد أمسكا بيدي وهما يهتزان مع كل طلقة.. انتهاء مراسم الجنازة العسكرية..والدة حسام تهرول إلى النعش وتنهار راكعة على ركبتيها لتقبّل الصندوق الخشبي المحتوي على نور عينيها.. الرئيس السيسي ينحني ليحمل حسن وحسين على ذراعيه ويلاطفهما ويقبلهما وسط دموعه التي لم يهتم أن يخفيها.. عشرات الأشخاص يصافحونني متمتمين بكلمات العزاء.. ستة جنود يحملون الجثمان إلى سيارة ونستعد للمغادرة إلى المدافن.

■ ■ ■

اتخذنا طريقنا باتجاه مدينة 6 أكتوبر.. ركبت السيارة مع معتز ووالد حسام ووالدته وحسن وحسين.. لفنا صمت ثقيل لم يقطعه إلا صوت الشيخ المنشاوي عبر إذاعة القرآن الكريم.. غرق الولدان في النوم وأسندت رأسي على زجاج النافذة شاعرة بخواء في جوفي.. كأنني أجريت جراحة استأصلت فيها كل أعضائي الداخلية. انتبهت على صورة حسام تطل عليّ من النافذة.. صور عديدة.. إنه بائع جرائد عند إحدى إشارات المرور.. رأيت صورة حسام تتصدر الصفحات الأولى

وأغلفة كل الصحف والمجلات.. اشتريتها جميعًا وأخذت أتصفحها.. كانت بشاعة الحادث صادمة لكل المصريين.. كانت رسالة بإعلان الحرب عليهم.. ذكرت المصريين بالخراب والدمار الدائرين في سوريا والعراق وليبيا.. ذكرتهم بالذبح والإحراق والإغراق.. بإعدام رموز الفكر والتنوير.. بصلب رجال الدين.. بهدم وتدمير تراث الإنسانية وتاريخ الحضارة.. بسبي النساء وبيعهم في أسواق النخاسة واستباحة أعراضهن باسم الدين.. بقتل البراءة في قلوب الأطفال وتدريبهم على القتل والذبح. بدأت مشاعر الحزن تفسح المجال لمشاعر غضب ساطع جارف جعلتني أمسح دموعي وأعتدل في مقعدي..نظرت خارج النافذة فوجدت أننا نمر بجوار سور الكلية الحربية.. تذكرت الحنين الذي كان يستحوذ على حسام كلما مررنا عليها.. كان يسميها مصنع الرجال.. حيث قضى أجمل أيام عمره. شعرت بالطمأنينة.. لن يتوقف مصنع الرجال عن تخريج دفعات ودفعات من خير أجناد الأرض.. ذهب حسام وسيأتي ألف حسام يمسحون دموعي ويبردون ناري ويأخذون بثأره وثأر كل الشهداء.. ويحمون مصر ويحافظون عليها وعلى أهلها وهويتها وتراثها وحضارتها وأزهرها الوسطي وكنيستها. ستبقى مصر أبية قوية وأهلها في رباط إلى يوم الدين.

■■■

وصلنا إلى مسجد الحصري بمدينة 6 أكتوبر.. حيث تقرر أن تقام صلاة الجنازة بعد صلاة العصر.. نظرت في ساعتي فوجدت أنه لايزال أمامنا حوالي ثلاثة أرباع الساعة قبل أذان العصر.

وقفنا أمام المسجد لاستقبال المعزين الذين بدءوا في التوافد.. وصلت السيارة التي تحمل نعش حسام وقام الجنود بإخراج النعش المغطى بعلم مصر وحمله إلى داخل المسجد. بدأ المارة في التساؤل عن صاحب الجنازة.. سمعت رجلًا يتحدث في هاتفه المحمول ويقول لمحدثه: «جنازة شهيد رفح ستخرج من الحصري بعد العصر.. أغلقوا المحل وتعالوا جميعًا.. أبلغ المحلات المجاورة».. وابتعد وهو يقوم بإجراء اتصالات أخرى.

اقترب مني رجل أسمر أشيب الشعر وقد احمرّت عيناه من البكاء.. سألني: «حضرتك حرم المرحوم الشهيد حسام شرف الدين؟».. أومأت إيجابًا.. قال: «أنا الدكتور عبد المجيد كوبان.. كان لي شرف مصاحبة الشهيد حسام خلال رحلة القطار إلى إسنا منذ أسبوعين.. إنسان عظيم وأعظم مثل لخير أجناد الأرض.. تحدثنا كثيرًا وقرأت كتابه الذي كان يعدّه عن شهداء دفعته وهو لا يدري أن الدور قد أصابه وأنه سيكون الشهيد التالي.. كان يتمنى الشهادة وأنالها له الله. حزنت كثيرًا وصدمت ولكنني سعيد له وفخور به». ابتسم الدكتور عبد المجيد قائلًا: «عندما علمت بالخبر أمس كنت أدير ندوة بالنادي النوبي.. فتغير موضوع الندوة لتصبح حفل تقدير وتأبين لحسام.. أخبرت الحاضرين بأنني سأتوجه لحضور مراسم الصلاة والجنازة غدًا ودعوتهم للحضور للقيام بواجب العزاء في شهيد الوطن.. ومن الواضح أن من لبوا الدعوة كانوا أكثر بكثير مما توقعت.».. قال ذلك وأشار إلى يسار المدخل فنظرت لأجد مئات الوجوه السمراء وقد لفها الحزن وقد بدءوا في

صعـود السـلـم للدخول إلى المسـجد. شـكرته بحـرارة أنـا والعائلة.. أخـذت أتأمـل بفخر هؤلاء الشـباب المخلصين وقد تركـوا مصالحهم وأعمالهم وجاءوا ليودعوا حسام.

أشـار لي شـقيقي إلى الجهـة المقابلة من الطريق.. شـاهدت جميع المحـلات والمطاعـم المقابلة لمسـجد الحصري وقـد أغلقت أبوابها وأقبـل العاملـون فيها نحو المسـجد.. رأيت المئـات يتوافدون من كل الاتجاهات لوداع حسام..

خفق قلبي تأثرًا وانتبهت على صوت سـيدة بجواري وقد اتشـحت بالسـواد وغطت شـعرها الذي تخللته بعض خصلات بيضاء بإيشارب أسـود وتدلى مـن صدرها صليـب ذهبي صغيـر.. أخذتني السـيدة في أحضانهـا وقالـت وسـط عبراتهـا.. ربنا يصبـرك ويكون فـي عونك.. وعرفتنـي بنفسـها..والدة المجنـد المصـاب ناجي فكري الـذي أخفاه حسـام عن عيون المجرمين. قالت لي: «جميل زوجك دين في رقبتنا.. لقـد أنقذ حياة ناجي وكان مثلًا للقائد العظيم والأخ الرحيم.. ناجي هو أصغر أولادي.. سميته ناجي لأنني كنت معرضة للإجهاض وأنا حامل به.. نمت خمسة شهور على ظهري أثناء الحمل وولدته بعملية قيصرية قبل موعده وبقي ثلاثة أسـابيع في الحضّانة. وتشـاء إرادة ربنا أن ينجيه مرة ثانية على يد المرحوم الشهيد حسام. ناجي في المستشفى وسيأتي لزيارتكم فور تحسـنه.» جففت والدة ناجي دموعها وأمسكت بذراعي قائلـة: «لقد نذرت أنا وخالات ناجي وعماته أن نوقد الشـموع ونصلي للشـهيد حسام كل أسبوع حتى نلقى وجه الله.. تأكدي أننا لن ننساه»..

ورفعت يديها إلى السماء داعية: «يارب عُلهُ في موضعِ خضرة على ماءِ الراحةِ في فردوسِ النعيم. وهب له خيرات مواعيدكَ، ما لم تره عينٌ ولم تسمع به أذنٌ، ولم يخطر على قلبِ بشرٍ. ما أعددته يا الله لمحبي اسمِكَ القدوسِ».

تركتني والدة ناجي لتقدم واجب العزاء لوالدة حسام وأقبلت عليّ سيدة شقراء بدا عليها الخجل.. قالت لي بلهجة سورية: «قلبي معك فقد اكتويت بنفس نارك.. داعش ذبحت زوجي في سوريا.. ولكنهم لم يعرفوا أنهم بفعلهم هذا إنما يشعلون حرائق نيران ستحيط بهم وتحرقهم بإذن الله.. لا تقلقي.. ولا تقنطي من رحمة الله.. هو المنتقم الجبار..وهو يمهل ولا يهمل».

توالى حضور المعزين.. حضر محافظ الجيزة ومعه رئيس مدينة 6 أكتوبر ومدير أمن الجيزة والعديد من رجال القوات المسلحة والشرطة.. كما كان هناك حضور كثيف من دفعة حسام ومن أهالي شهداء الدفعة.. طنت بهية والدة مصطفى حجاجي حضرت مع شقيقه وائل بالطائرة لتلحق بالجنازة «احتضنتني باكية وهي تقول «ابني راح مني مرتين يا علا».. شجعتني طنت ماجدة والدة محمد جمال وقالت لي: «هو مع محمد الآن يتمتعان بنعيم الجنة.. أي خير أفضل من ذلك نتمناه لهما؟».. قبضت أميرة زوجة محمد عادل على ذراعي وقالت بثقة: «لا تحملي هم الولدين.. فالذي خلقهما أولى بهما وتأكدي أن الله معنا.. اسأليني.. لا تتخيلي كرم الله مع أبناء الشهداء».

سمر خطيبة محمد أبوغزالة احتضنتني وهمست في أذني: «الحب لا يموت يا علا.. حتى لو مات الحبيب.. محمد معي كل يوم.. وسأعيش على حبه وأبقى على عهده حتى يجمعني به الله في دار النعيم.. ربنا سيجمعك بحسام في الجنة بإذن الله وسيعوضك عن كل لحظة حزن ودمعة ذرفتِها».

ارتفع أذان العصر ودخل الجميع إلى المسجد لأداء الصلاة.. لم يتسع المسجد للمصلين فافترشوا الساحات والشوارع المحيطة به.. قال لي حسن: «كل هؤلاء بيحبوا بابا؟».. رددت عليه: «مصر كلها تحبه».

أقيمت صلاة العصر ثم صلاة الجنازة.. وخرج النعش فخورًا بعلم مصر الذي يحيط به محمولًا على أعناق الجنود ينافسهم العشرات الذين تزاحموا معهم ليشتركوا في حمل الشهيد.

ركبنا السيارة متجهين إلى المقابر بطريق الواحات.. كنا نسير خلف السيارة التي تحمل حسام.. نظر حسين عبر الزجاج الخلفي وقال لي: «انظري يا ماما».. نظرت إلى الخلف لأجد قافلة طويلة من السيارات وسيارات ميكروباص محملة بمشيعين لا أعرفهم.. حسب ما عرفت لاحقًا امتدت قافلة سيارات المشيعين لأكثر من كيلومتر.

اقتربنا من المقابر.. وقبالة عمارات إسكان الدويقة وجدنا الطريق مغلقًا إذ تكدس فيه الآلاف من سكان المنطقة الذين وصلهم الخبر فاصطفّوا ليكونوا في استقبال الشهيد.

حمل الكثيرون صور الشهيد وأعلام مصر.. سرنا ببطء شديد وسط بحور من الناس وعندما دخلنا في بداية طريق المقابر ارتفعت أصوات الزغاريد وأخذ الأهالي يلقون بالزهور على العربة الحاملة للنعش.. تقدم عشرات الشباب طالبين أن يحملوا الشهيد على أكتافهم حتى مثواه الأخير.. توقفت القافلة تمامًا وفي النهاية تمت الاستجابة لرغبتهم ونزل الجنود وحملوا النعش على أعناقهم.. انضم لهم الشباب وتنافس الجميع على حمل الشهيد.. توقفت قافلة السيارات الطويلة وتركها من فيها على طريق الواحات ولحقوا بنا، وتحرك الجميع في موجات بشرية هادرة تهتف: «لا إله إلا الله الشهيد حبيب الله».. رفع عم الأولاد حسن وحمله على كتفيه وحذا خالهما حذوه وحمل حسين وانطلقا وسط طوفان البشر يهتفون معهم.. اقتربت مني سيدتان من أهل المنطقة وسألتا: «إنت مرات العريس؟»..

استغربت من السؤال ولكني أجبتهما: «نعم»..

فسألتا: «وأين أم العريس؟» أشرت إلى حماتي بجواري.. سألتا: «أمّال ما بتزغرطوش ليه؟»..

قلنا: لا نعرف. قالتا: نعلمكما. وظلا وراءنا حتى أطلقت كل منا زغرودة طويلة.. فأبدتا استحسانهما: «كده تمام.. عايزين تزفوا الشهيد للجنة سكّيتي؟»..

أخذت أنظر إلى حسن وحسين وهما على كتفي عمهما وخالهما يهتفان «لا إله إلا الله الشهيد حبيب الله» ويلتفتان كل فترة إلى الخلف ليلوحا لي بأيديهما الصغيرة وقد بدت السعادة على وجهيهما وهما

يلقيـان بالزهور على نعش والدهما.. ونظرت بجواري إلى حماتي وقد بدا الفخر في عينيها وكل الناس ينادونها بأم الشهيد وأم العريس.. فترد عليهم بزغرودة.

ما أجمل شـعبك يا مصـر! ما أعظم وطنيته وما أقـوى إيمانه! رأيت كيف اسـتبعد البسـطاء ما في موت الشهيد من سلبيات وأحزان وركزوا على النعيم الذي ينتظره عند الكريم الرحيم.. رأيت كيف حولوا جنازة الشـهيد إلـى زفّته.. وحولـوا أهل الميت إلـى أهل العريـس.. وحولوا العويل إلى زغاريد.

بلد شعبه بهذا الإيمان وهذه الروح وهذه الهوية.. لن يموت أبدًا.

■ ■ ■

مضى أسبوع على استشهاد حسام.. ورغم الصدمة وبشاعة الحدث وقسـوة الفراق.. فإن استشـهاده وحرارة مشـاعر الناس خلال مراسـم تشـييعه وحـب مصر التي ضحـى بروحه فداها زرعت في قلبي شـحنة مـن التحـدي والإصـرار والرغبـة الصادقة فـي أن أقوم بـدور فعال في استكمال مهمة الشهيد.

لقـد استشـهد حبيبي حسـام وهو يحـارب الإرهاب فـي رفح على حدودنـا الشـرقية وراح زميله محمد إمام ضحيـة للإرهاب في الفرافرة قرب حدودنا الغربية.. وكل يوم نسـمع عن سـقوط ضحايا من الجيش والشرطة في شتى بقاع مصر.. في عام 2014 وحده سقط 465 شهيدًا من الجيش والشرطة ضحايا للإرهاب الأسود.. الإرهاب باسم الدين..

الإرهاب الذي يعتبرهم كفارًا ومرتدين فيستحل دماءهم وأموالهم.. لم يخل شبر من أرضنا الطاهرة من ضحية للإرهاب.. كل محافظات مصر قدمت شهداء فداءً للوطن وإن اختلفت الأساليب.. تصفيات جسدية.. تفجير أوتوبيسات الإجازة للمجندين..سيارات مفخخة.. مهاجمة كمائن ونقاط تفتيش.. تفجيرات لأقسام الشرطة ومقار الأمن العام.. ألغام أرضية واستهداف طائرات ومدرعات.. انتحاريون بأحزمة ناسفة. أسلحة خفيفة وثقيلة وقاذفات صواريخ. نحن نواجه حربًا متكاملة الجوانب يعتبرها العدو حربًا مقدسة.. اتخذوا لأنفسهم فيها دور المؤمنين.. أما نحن فاعتبرونا كفار قريش..

ليس كل إرهابي حاملًا للسلاح.. فأنا أعتبر أن كل من يحرض أو يشجع أو يتضامن أو يبررأو يتعاطف مع الإرهاب إرهابيًّا.. بعد استشهاد حسام هالني كم الشماتة والتحريض على مواقع عديدة من ضمنها من يسمون أنفسهم قيادات الإخوان.. أحدهم اسمه محمد الصنهاوي.. كتب «إن الأعداد التي قُتلت من جانب الجيش قليلة مقارنة بالقتلى الذين سقطوا في محمد محمود وفض اعتصامي رابعة والنهضة ومظاهرات الإخوان.»..

آخر اسمه محمد جلال، يقول: «المعادلة بسيطة، الجيش قتل المصريين في سيناء، وهدم ديارهم، فانضم الأهالي للمقاومة وقتلوا جنود الجيش ليحرروا أرضهم»..

أمثلة أخرى كثيرة تحمل رائحة الحقد والخيانة.. ولكن لا تستحق الذكر في كتاب يتحدث عن الذكرى العطرة للشهداء.

بـروح زوجـة الشـهيد الأبيّة رتبـت أولوياتـي على المـدى القصير والمدى البعيد..

علـى المدى القصير حددت مهمتين للانتهـاء منهما قبل احتفالات نصر أكتوبر..

الأولـى هـي كتاب حسـام عن شـهداء دفعته وسـأنتهي مـن إعداده ليكون جاهزًا للطبع لأهديه يوم عيد أكتوبر لشـهداء دفعة 103 حربية.. هدية الشهيد للشهداء.

أمـا المهمـة الثانية فهي تحفيظ نشـيد القوات المسـلحة المصرية - تحفة فاروق جويدة وكمال الطويل والمصنف كأجمل أناشيد الجيوش في العالم - لحسن وحسين ليقوما بأدائه في الحفل.

أمـا علـى المـدى البعيـد فسـأعمل علـى تأسـيس رابطـة لزوجات وأمهات شـهداء الإرهاب من الجيش والشـرطة.. الهدف السـامي لها هـو اسـتكمال دور شـهدائنا الذيـن فقـدوا حياتهم من أجله.. سـنعمل على مقاومة الإرهاب إرسـالًا واسـتقبالًا.. سنؤسـس كتيبـة إلكترونية نجنـد فيهـا الآلاف لنفضح مؤيـدي الإرهـاب والمتعاطفيـن معه على مواقـع التواصـل الاجتماعي..سـنعمل علـى إيصـال صوتنـا وقصص شـهدائنا للعالم.. أزواجنا حاربوا حروبًا تقليدية..ولكننا سـنعد أنفسـنا لخوض معارك حروب الجيل الرابع..وسنسـتعين بالمصريين الشرفاء المخلصين لدعمنا..

لـن نسـمح للمتاجرين بالديـن أن يتاجروا بدماء أزواجنا.. سـنعمل على رفع الوعي ونشـر الثقافـة حتى لا تجد موجـات العنف والتطرف

والتعصب مستقبلًا لها في عقول شبابنا. سنربي أبناءنا على الإيمان السمح والدين الوسطي.. سنربي جيلًا يحب الموسيقى ويتذوق الفن ويحافظ على الآثار ويقدّر قيم الحق والخير والجمال.. سنتأكد أن ينمو أولادنا مشبعين بحب مصر..عاشقين لترابها.. متمسكين بهويتها.

■ ■ ■

جلس جميع أفراد الأسرة متحمسين ليشاهدوا المفاجأة التي انشغلت بالإعداد لها على مدى ثلاثة أسابيع.

كم كنت أتمنى أن تكون معي يا حسام.. كنت ستكون فخورًا مثلي بولديك حسن وحسين. صفقت بيدي ليستعد التوءم لأداء البروفة الأخيرة قبل أن يقوما بأداء النشيد غدًا في احتفال نصر أكتوبر المجيد والذي سيشهد تكريم السيد رئيس الجمهورية لوالدهما الشهيد.

ارتدى كل من حسن وحسين بدلة نقيب في القوات المسلحة المصرية فصّلت لهما خصيصًا في مشغل الكلية الحربية.. وأشرفت السيدة أميرة من إدارة الشئون المعنوية بنفسها على بروفاتها. وقف الولدان في شموخ وعلى رأسهما الكاب العسكري يزينه نسر صلاح الدين. سالت دموعي وأنا أرى كم يشبهان والدهما.. ورثا عنه وسامة الوجه وحلاوة الصوت.

قمت بالعد: واحد.. اثنان.. ثلاثة وقمت بتشغيل الموسيقى. وبصوت ساحر يهز القلوب شدا طفلا الشهيد بنشيد القوات المسلحة المصرية:

رسمنا على القلب وجه الوطـــنْ نخيلًا ونيلًا وشعبًا أصيـــلا

وصنّاك يا مصر طول الزمـــــنْ ليبقى شبابك جيلًا فجـــيلا

على كل أرض تركنا علامـــــــةْ قلاعًا من النور تحمي الكرامةْ

عروبتـنــــا تفتديـك القلـــوب ويحميك بالدم جيشُ الكنانةْ

وتنســــــاب يا نيـل حـرًّا طليقًا لتحكي ضفافك معنى النضالْ

وتبقى مدى الدهر حصنًا عريقًا بصدق القلوبِ وعزم الرجالْ

يدُ الله يا مصر ترعى ســــماكِ وفِي ساحة الحق يعلو نداكِ

وما دام جيشك يحمى حمـــاكِ ستمضي إلى النصرِ دومًا خطاكِ

سلامٌ عليكِ إذا ما دعـــــانــــا رسولُ الجهادِ ليوم الفـداءْ

وسالتْ مع النيل يومًا دمانـــا لنبني لمصر العلا والرخـاء

صفـق لهمـا الجميـع تصفيقًـا طويـلًا فانحنيا برشـاقة لـرد التحية.. وهنا هجم عليهما أفراد الأسـرة ليضموهمـا إلى صدورهم ويغرقوهما بالقبلات وقد سالت دموعهم.

مسـحت دموعي ونظرت إلى صورة حسام التي تطل علينا من على جدار غرفة المعيشة..

أرسـلت له قبلة في الهواء متمنيةً أن تجد طريقها لتصل إليه في جنة الرحمن وتخبره أنني على العهد باقية.. وأنني ساهرة على إعداد ولدي الشـهيد ليشرفا أباهما ويكونا مثله..مشـروعي شهيدين في جيش مصر

العظيـم.. ليتسـلما مكانـه.. ويكمـلا مشـواره حاميين حِمـى الوطن.. الوطن الذي رسما وجهه على قلبيهما.

■ ■ ■

وبهذا أكون قد أنهيت كتابك يا حبيبي.. رحمك الله ورحم شـهداء دفعة 103 حربية.. وجميع شـهداء الجيش والشرطة ضحايا الإرهاب المجرم..

وتحـيـــا مـصـــــر..

نحن شعب جميل

نحن بحق شعب جميل.. رغم السلبيات التي تحبطنا أحيانًا.. فإن المصري يحمل بداخله خلاصة حضارة آلاف السنين.. فالحضارة لا تفنى ولا تستحدث من العدم.

لقد قرأتم في الصفحات السابقة مقدمة الكتاب والتي شرفتني بكتابتها أسرة مستشفى 57357.. التقيت وتفاعلت مع هذه المجموعة العظيمة عن قرب من خلال مناقشة كتابي (الخروج من الفقاعة) الذي يحكي قصة طفل أصيب بسرطان الدم.. وكيف تفاعل مع المرض وانتصر عليه وخرج من تجربة العلاج بمستشفى 57357 إنسانًا آخر.. أعمق إيمانًا.. أرحم قلبًا.. أكثر تواضعًا.. أرق إحساسًا.. أعظم عطاءً.. أغزر علمًا.. أطول صبرًا وأقل أنانيةً.

لفت نظري كيف تتعامل أسرة المستشفى مع الأطفال ليس فقط كمرضى يسعون إلى شفائهم.. بل يخلطون بالعلاج الطبي التنمية البشرية والتوعية والتربية المعنوية.. وكان من أجمل ما لاحظت حرص أسرة المستشفى على أن يتعلم الأطفال حب الوطن والانتماء الشديد له.. ولم تكتف أسرة المستشفى بنقل مشاعرها الفياضة والتزامها

العظيم برسالتها نحو أطفال مصر المصابين بالسرطان وتقديم أفضل علاج ورعاية لهم من خلال منظومة رائعة من أنجح منظومات المجتمع المدني في مصر إن لم تكن أنجحها على الإطلاق.. لم تكتف أسرة المستشفى بأن يتشرب الأطفال بتفانيهم والتزامهم ووطنيتهم.. بل استفادوا من علاقة شراكتهم الوطيدة بالكلية الحربية.. مصنع الرجال.. والتي حرصت على أن يشعر طلابها بآلام أطفال مصر.. فكانت شريكًا ملتزمًا يبذل الجهد والمال والعلم والعاطفة لمساعدة هؤلاء الأطفال.

عندما كتبت هذا الكتاب لتخليد أبطال دفعة 103 حربية.. اتصلت بأصدقائي في المستشفى لجمع معلومات عن الصدقة الجارية التي خصصها ضباط دفعة 103 حربية لتخليد شهداء دفعتهم واختاروا مستشفى 57357 كأفضل اختيار للقيام بها.. عندها تحمس فريق المستشفى بشدة للكتاب وطلبوا مني أن يقوموا بكتابة مقدمة الكتاب تقديرًا ووفاءً للكلية الحربية ولقواتنا المسلحة لدورهم العظيم في الدعم المادي والمعنوي لمرضى المستشفى من أطفال مصر الأحباء.

لم تنته القصة هنا.. فقد قامت أسرة المستشفى بقراءة بعض فقرات الكتاب للأطفال المرضى وكانت ردة الفعل مذهلة.. فقد عبر الأطفال شفهيًا وكتابةً عن تفاعلهم وتعاطفهم مع أبناء الشهداء.. ونسي مرضى السرطان أوجاعهم وآلامهم.. وبدلًا من أن يكونوا هم الطرف المتلقي للدعم المعنوي أرادوا أن يكونوا هم من يعطي ويساعد ويصبّر وطلبوا أن يقوموا باستقبال أبناء الشهداء ليس فقط شهداء دفعة 103 حربية.. بل كل شهداء الجيش والشرطة.

هل رأيتم مـاذا فعل حب مصر لهؤلاء الأطفال المرضى؟ هل رأيتم التأثير النفسي لاختلاطهم بأبطال الكلية الحربية والقوات المسلحة؟.. أنسـاهم حـب مصـر الأخـذ ودفعهم إلـى العطاء.. شـعروا أنهـم أيضًا بالرغـم مـن ضعفهم ومرضهـم قادرون علـى العطاء ومسـاعدة أطفال الشـهداء على عبـور محنتهم كما عبـروا هم محنة المـرض والخوف. وضرب أطفال 57357 مثلًا عظيمًا شـعرت معـه بالفخر والطمأنينة.. الفخـر بأطفـال بلـدي.. وبمن وجههـم وغرس فيهم حـب الوطن و ما يترتـب عليه من عطاء وإيثار ورقي في المشـاعر والأهداف.. وطمأنينة بـأن مصـر بخيـر مادامت هـذه هـي روح أطفالهـا.. ولو كانـوا مرضى بالسرطان.

لا خلتك يا مصر بركة.. ولا زال بك حفظ.. ولازال منك ملك وعز.

د. إبراهيم شلبي

القاهرة سبتمبر 2015

إنا عمر محمد رجب عندى ١٧ سنة عند سرطان العظم
يا أمير الشهيد وابنه بطل عاش بطل ومات بطل وإتعلمت من
بطل محمد جمال معنى الوفاء والتضحية من أجل الوطن
عزيز مصر أم الدنيا وزى كينج محمد مينر
وأثبت للعالم إنك موجود وانت موجود فى قلبى
يا بطل محمد جمال الأكبر

انا نور الدين محمد ١٨ سنة سرطان الغدد
ربنا يرحمك يا شهيد مصطفى حجاجى شهيد مصر
و يصبرك اهلك وصحابك على الفراق كان نفسى
اموت و احد منكوا و احارب اعداءنا و اموت
فى سبيل مصر بس ربنا أراد انى احارب عدو
بيحارب فى جسمى .

أنا مصطفى عندي سرطان بالدم
١٠ سنة

عمو أنا كمان اسمي مصطفى انت بطل
وأنا نفسي أبقى زيك يا عمو
يا شهيد قرارك تهتك وحبيبك
قوي قوي قوي
وهقابلك في الجنة يا شهيد

— — —

مصطفى إسماعيل
١٠ سنه
مستشفى سرطان الأطفال
٥٧٣٥٧

احمد محسن
١٦ سنة
سرطان في الغدد

أحب أقول للشهيد ان انت بطل واحنا بنحارب
زى ما انت بتحارب بس انت بتحارب عدو شايفه
انما احنا بنحارب عدو مش شايفينه
هنقبلك في الجنة ياشهيد ويارب نكون زيك
وربنا يصبر أهلك وأولادك ويلهمهم الصبر والسلوان.

الى الشهيد ((محمد امام مصطفى))

أنا مايكل

١٦ سنة

سرطان فى المخ

نفسى أطلع ظابط بالجيش

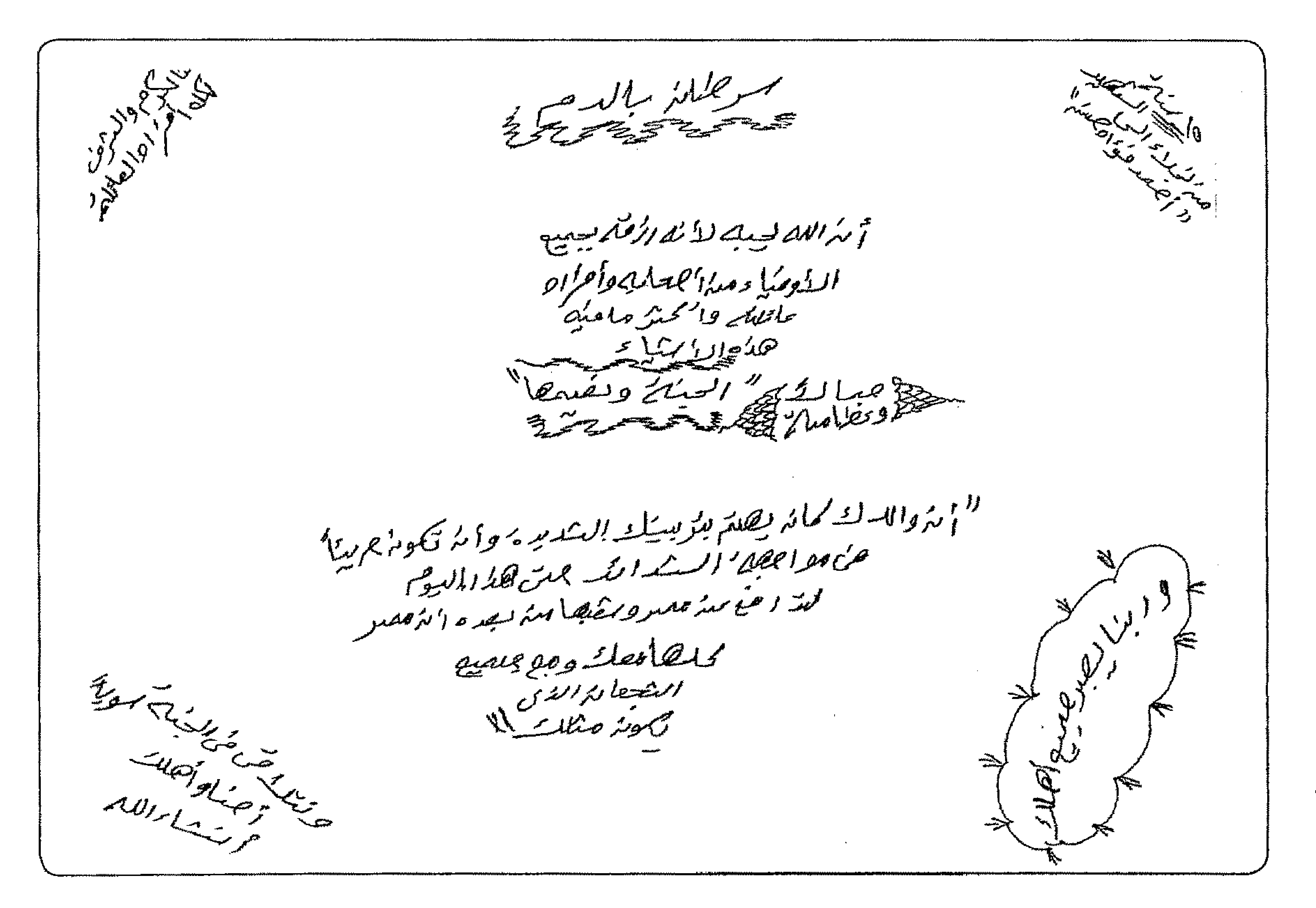
المصري واموت وأنا بدافع عن اهلى

ويقول للشهيد ربنا يصبر اهلك

وزوجتك انت فى الجنة بارشهيد

مصر

مايكل


هذه الأشياء
"أن والدك كان يحلم بتربيتك الشديدة وأن تكون حربياً
حتى تواجه الشدائد حتى هذا اليوم
الشجعان الذى
تكون مثلك !!

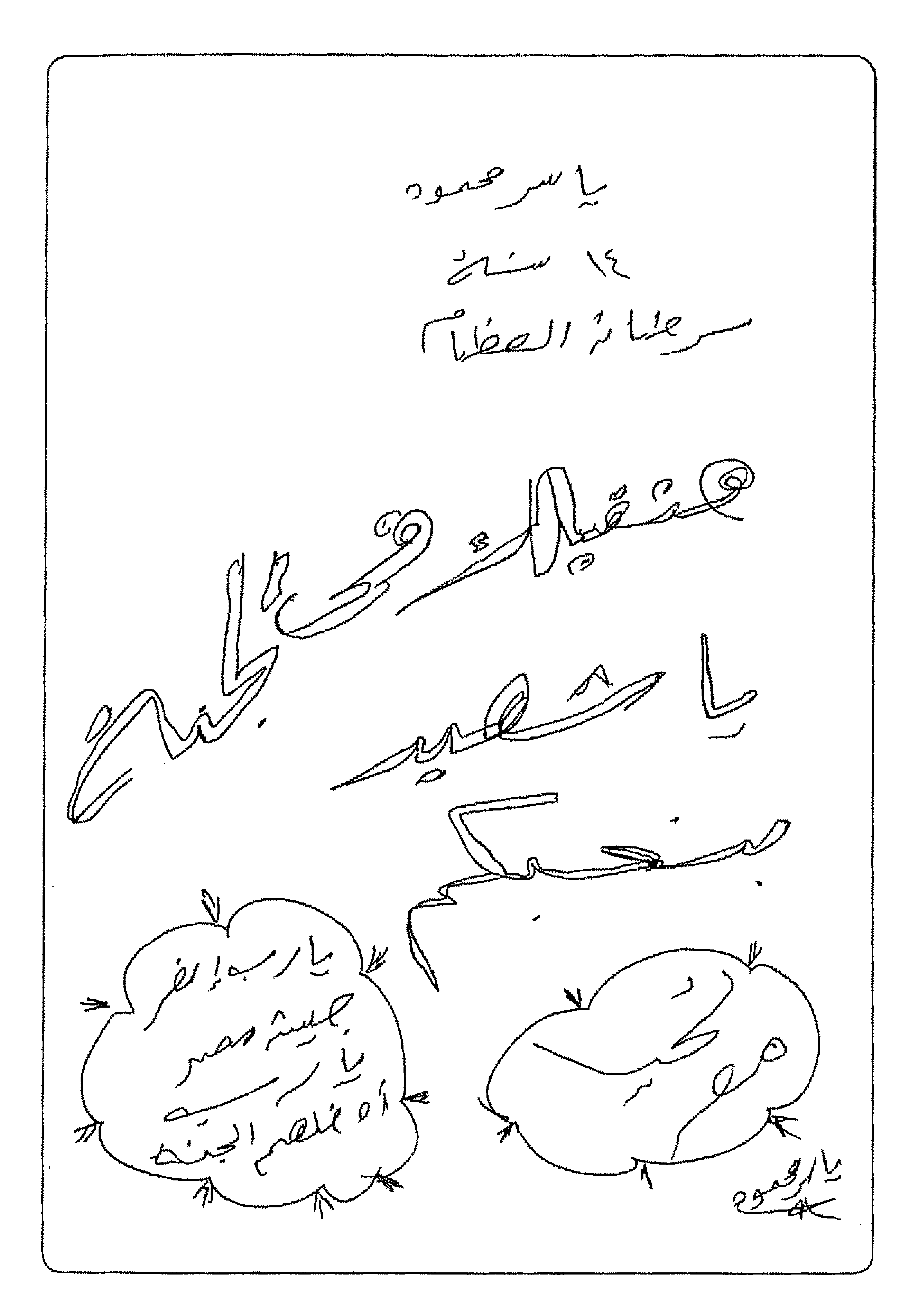
57357

* وليد حامد *

١٨ سنة

سرطان عظام

* مجاور أقول لأم وزوجة الشهيد محمد امام مصطفى.
* وابنة سيف محمد إمام مصطفى.
* ان الشهيد محمد في الجنة ياسيف أبوك بطل.
* وحارب بشجاعة وهو مات وهو حي يرزق عند ربنا.
* متزعلش بس إفرح ان أبوك شهيد.
* دة فخر ليك
* ربنا يرحمك ياشهيد (محمد إمام)
* ويصبر أهلك وأمك وزوجتك وابنك سيف
* إبنك البطل
*


ياسر محمود
١٤ سنة
يا شهيد
يا رب إنصر
جيش مصر
يا رب
أدخلهم الجنة

د. مينا عبدالله

١٣ سنة

مرحلة بالغة

«جيش مصر نحبك»

نحب الجيش

تحيا مصر

مصر ستعيش لأن منا أبطال

تحميها

نحبكم يا شهداء الجيش يا شهداء

مصر»



تعريف بالكاتب

د. إبراهيم شلبي

- من مواليد القاهرة عام 1960.
- تخرج في كلية طب قصر العيني عام 1983 وحصل على ماجيستير علاج الأورام عام 1987
- عمل معيدًا بمركز قصر العيني لعلاج الأورام - جامعة القاهرة وأخصائيًا بمركز الكويت لمكافحة السرطان.
- اتجه بعد ذلك للعمل في مجال أبحاث وتسويق وصناعة الدواء ويعمل حاليًا كمدير عام لإحدى شركات الأدوية العالمية.
- قام بنشر تسعة كتب:
  - رسالة إلى الله من مسلم في عهد الإسلام السياسي (يناير 2013).
  - رسالة إلى الله من مسيحي في عهد الإسلام السياسي (إبريل 2013).
  - في بهو الكرنك - محاكمة رئيس (يونيو 2013).
  - من ذاكرة أرض ونهر - الكتاب الأول - عزيزة (يناير 2014).
  - برشامة الرئيس (مارس 2014)
  - من يوميات امرأة انتصرت على السرطان (يوليو 2014).
  - رسالة إلى الله من مسلم ومسيحي في زمن الفتن (يناير 2015).
  - من ذاكرة أرض ونهر - الكتاب الثاني - نغم (يناير 2015).
  - الخروج من الفقاعة (يناير 2015).
  - الخروج من الفقاعة - الطبعة الثانية (إبريل 2015).

هذه الرواية كُتبت بدم القلب ودمع العين.. هي سرد لأحداث واقعية مرت بها مجموعة من زهرة شباب مصر.. ارتووا من نيلها الكريم ونشئوا على أرضها الطيبة..وأحبوها وعشقوا أهلها لدرجة أنهم بذلوا أرواحهم فداءً لها ورووا بدمائهم ترابها.

فيما عدا شخصية الراوي ومن يدور حوله من شخصيات.. فكل ما جاء في هذه الرواية من أحداث وأماكن وشخصيات وتعليقات وأسماء حقيقي.. ويسرد قصة أبطال دفعة 103 حربية.. دفعة الشهداء التي قدمت 15 شهيدًا في حرب مصر ضد الإرهاب.. والتي تخرج ضباطها في مصنع الرجال.. الكلية الحربية عام 2009 . زينة الشباب أكبرهم في السادسة والعشرين من العمر.. تخرجوا وكل منهم يحمل لقب مشروع شهيد.. كانت الشهادة أملهم وغايتهم.. لم يخافوا أو يقلقوا على من تركوه وراءهم.. كانوا يتنافسون على الذهاب إلى سيناء لحماية الوطن ولأخذ ثأر زملائهم..

وراء كل منهم قصة وأسرة وآمال وأحلام.. تركوا مهمات لم تتم.. طفلًا يحبو.. جنينًا لم يكتمل.. بيتًا لم يتم بناؤه.. بدلة زفاف لم تُرتدَ.. تركوا على صغر سنهم مُثلاً عليا ومواقف شجاعة وحبًا أصيلاً لمصر. الوطن الذي رسموا وجهه على قلوبهم.. نخيلاً ونيلاً وشعبًا أصيلا.

لن تضيع دماؤكم سُدًى يا شهداء الوطن وستبقون أحياءً.. في الفردوس الأعلى ترزقون عند الله.. وفي قلوبنا إلى الأبد.

الناشر

تصميم الغلاف
DARAJ
Consulting & Publishing Services

سما للنشر والتوزيع
المجموعة الدولية للنشر والتوزيع

